

2271

504605

566

2271.504605.566

Badewi

Ma'mūn banī Ayyūb

1999, 2000, 2001, 2002, 2003, 2004, 2005, 2006, 2007, 2008, 2009, 2010, 2011, 2012, 2013, 2014, 2015, 2016, 2017, 2018, 2019, 2020, 2021, 2022, 2023, 2024, 2025, 2026, 2027, 2028, 2029, 2030, 2031, 2032, 2033, 2034, 2035, 2036, 2037, 2038, 2039, 2040, 2041, 2042, 2043, 2044, 2045, 2046, 2047, 2048, 2049, 2050, 2051, 2052, 2053, 2054, 2055, 2056, 2057, 2058, 2059, 2060, 2061, 2062, 2063, 2064, 2065, 2066, 2067, 2068, 2069, 2070, 2071, 2072, 2073, 2074, 2075, 2076, 2077, 2078, 2079, 2080, 2081, 2082, 2083, 2084, 2085, 2086, 2087, 2088, 2089, 2090, 2091, 2092, 2093, 2094, 2095, 2096, 2097, 2098, 2099, 2100, 2101, 2102, 2103, 2104, 2105, 2106, 2107, 2108, 2109, 2110, 2111, 2112, 2113, 2114, 2115, 2116, 2117, 2118, 2119, 2120, 2121, 2122, 2123, 2124, 2125, 2126, 2127, 2128, 2129, 2130, 2131, 2132, 2133, 2134, 2135, 2136, 2137, 2138, 2139, 2140, 2141, 2142, 2143, 2144, 2145, 2146, 2147, 2148, 2149, 2150, 2151, 2152, 2153, 2154, 2155, 2156, 2157, 2158, 2159, 2160, 2161, 2162, 2163, 2164, 2165, 2166, 2167, 2168, 2169, 2170, 2171, 2172, 2173, 2174, 2175, 2176, 2177, 2178, 2179, 2180, 2181, 2182, 2183, 2184, 2185, 2186, 2187, 2188, 2189, 2190, 2191, 2192, 2193, 2194, 2195, 2196, 2197, 2198, 2199, 2200, 2201, 2202, 2203, 2204, 2205, 2206, 2207, 2208, 2209, 2210, 2211, 2212, 2213, 2214, 2215, 2216, 2217, 2218, 2219, 2220, 2221, 2222, 2223, 2224, 2225, 2226, 2227, 2228, 2229, 2230, 2231, 2232, 2233, 2234, 2235, 2236, 2237, 2238, 2239, 2240, 2241, 2242, 2243, 2244, 2245, 2246, 2247, 2248, 2249, 2250, 2251, 2252, 2253, 2254, 2255, 2256, 2257, 2258, 2259, 2260, 2261, 2262, 2263, 2264, 2265, 2266, 2267, 2268, 2269, 2270, 2271, 2272, 2273, 2274, 2275, 2276, 2277, 2278, 2279, 2280, 2281, 2282, 2283, 2284, 2285, 2286, 2287, 2288, 2289, 2290, 2291, 2292, 2293, 2294, 2295, 2296, 2297, 2298, 2299, 2300, 2301, 2302, 2303, 2304, 2305, 2306, 2307, 2308, 2309, 2310, 2311, 2312, 2313, 2314, 2315, 2316, 2317, 2318, 2319, 2320, 2321, 2322, 2323, 2324, 2325, 2326, 2327, 2328, 2329, 2330, 2331, 2332, 2333, 2334, 2335, 2336, 2337, 2338, 2339, 2340, 2341, 2342, 2343, 2344, 2345, 2346, 2347, 2348, 2349, 2350, 2351, 2352, 2353, 2354, 2355, 2356, 2357, 2358, 2359, 2360, 2361, 2362, 2363, 2364, 2365, 2366, 2367, 2368, 2369, 2370, 2371, 2372, 2373, 2374, 2375, 2376, 2377, 2378, 2379, 2380, 2381, 2382, 2383, 2384, 2385, 2386, 2387, 2388, 2389, 2390, 2391, 2392, 2393, 2394, 2395, 2396, 2397, 2398, 2399, 2400, 2401, 2402, 2403, 2404, 2405, 2406, 2407, 2408, 2409, 2410, 2411, 2412, 2413, 2414, 2415, 2416, 2417, 2418, 2419, 2420, 2421, 2422, 2423, 2424, 2425, 2426, 2427, 2428, 2429, 2430, 2431, 2432, 2433, 2434, 2435, 2436, 2437, 2438, 2439, 2440, 2441, 2442, 2443, 2444, 2445, 2446, 2447, 2448, 2449, 2450, 2451, 2452, 2453, 2454, 2455, 2456, 2457, 2458, 2459, 2460, 2461, 2462, 2463, 2464, 2465, 2466, 2467, 2468, 2469, 2470, 2471, 2472, 2473, 2474, 2475, 2476, 2477, 2478, 2479, 2480, 2481, 2482, 2483, 2484, 2485, 2486, 2487, 2488, 2489, 2490, 2491, 2492, 2493, 2494, 2495, 2496, 2497, 2498, 2499, 2500, 2501, 2502, 2503, 2504, 2505, 2506, 2507, 2508, 2509, 2510, 2511, 2512, 2513, 2514, 2515, 2516, 2517, 2518, 2519, 2520, 2521, 2522, 2523, 2524, 2525, 2526, 2527, 2528, 2529, 2530, 2531, 2532, 2533, 2534, 2535, 2536, 2537, 2538, 2539, 2540, 2541, 2542, 2543, 2544, 2545, 2546, 2547, 2548, 2549, 2550, 2551, 2552, 2553, 2554, 2555, 2556, 2557, 2558, 2559, 2560, 2561, 2562, 2563, 2564, 2565, 2566, 2567, 2568, 2569, 2570, 2571, 2572, 2573, 2574, 2575, 2576, 2577, 2578, 2579, 2580, 2581, 2582, 2583, 2584, 2585, 2586, 2587, 2588, 2589, 2590, 2591, 2592, 2593, 2594, 2595, 2596, 2597, 2598, 2599, 2600, 2601, 2602, 2603, 2604, 2605, 2606, 2607, 2608, 2609, 2610, 2611, 2612, 2613, 2614, 2615, 2616, 2617, 2618, 2619, 2620, 2621, 2622, 2623, 2624, 2625, 2626, 2627, 2628, 2629, 2630, 2631, 2632, 2633, 2634, 2635, 2636, 2637, 2638, 2639, 2640, 2641, 2642, 2643, 2644, 2645, 2646, 2647, 2648, 2649, 2650, 2651, 2652, 2653, 2654, 2655, 2656, 2657, 2658, 2659, 2660, 2661, 2662, 2663, 2664, 2665, 2666, 2667, 2668, 2669, 2670, 2671, 2672, 2673, 2674, 2675, 2676, 2677, 2678, 2679, 2680, 26

issued to

1871 155017

C. J. 1998

DATE _____

2511 000



32101 074446210

205
مأمون بن أيوب
Mamun b. Ayub
"المعظم عيسى"
ع

تأليف

أحمد أحمد بدوي

مدرس بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة

مكتبة الطبع والنشر

مكتبة الأنجلو المصرية

١٦٥ شارع صعيد قريه (مما واليه سابقا)

(مبني وشركاه)

مكتبة الطبع والنشر

١٦٥ شارع صعيد قريه (مما واليه سابقا)

2271
.504605
.566

55

بسم الله الرحمن الرحيم

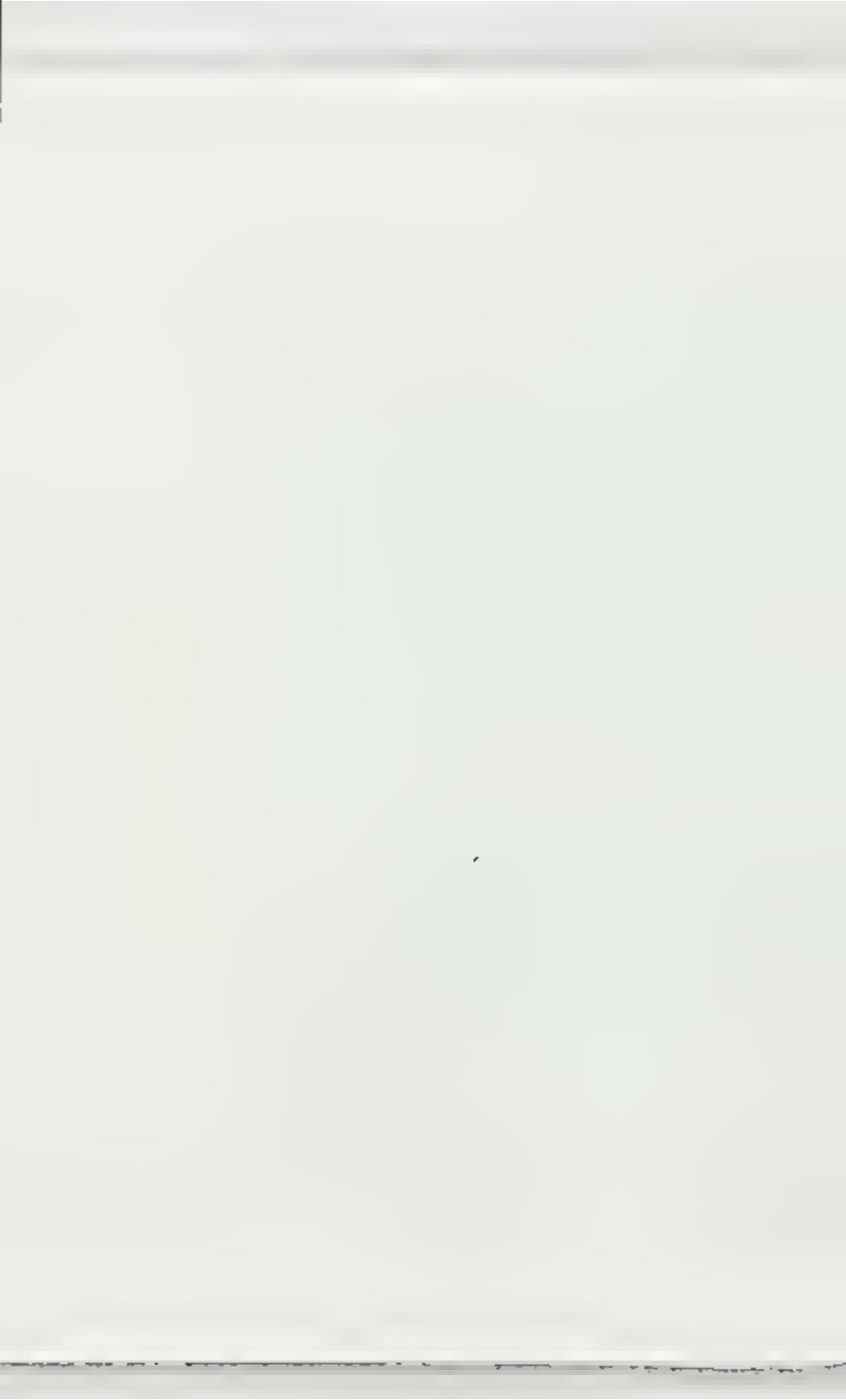
مقدمة

أعجبت ، وأنا أدرس عصر الحروب الصليبية ، بشخصية المظلم عيسى بن الملك
المادل ، وزادني حباً لهذا الرجل - له من صفات تجعله أنيراً لدى النفوس : من
ديمقراطية متأسلة في نفسه ، وحب للعلم وتشجيع لأهله ، وغرام بالأدب ،
ومساحة في التأليف ، وكنت كلما ازددت اتصالاً به ، ازددت تقديراً له ، وإعجاباً
به ، فأحببت أن أخصه ببعض بحث يناوله من جميع نواحيه ، وهأنذا أقدم ما استطعت
أن أسل إليه : من تاريخ حياة هذا الرجل ، وما اهتمت إليه : من أدبه وكتبه ،
راجياً أن أجلو بعض صفحات من حياة حاكم خدام الإسلام والعلم ، وكان له
في هذا المجال أطيب الآثار .

الؤلف

2271
504805
766

504805
766



الأميرة الأيوبية

في قبيلة كردية كانت تسكن بلدة «دوين» ، في آخر «أذربيجان» ،
نشأ أيوب بن شادي ، وأخوه شيركوه ، وقد قدم بهما والدهما إلى العراق ،
والتي هنا بمحمة مجاهد الدين بهروز متولي شحنة^(١) بغداد ، رأى بهروز من
نعم الدين أيوب رأياً وعقلاً ، فولاه «تسكريت» ، وكانت إقطاعاً له ، فأقام
بها محمد الدين ومعه أخوه أسد الدين شيركوه ، إل أن إهمهم الأتراك رسكي بن
آق سنقر ، من الخليفة المسترشد الساماني سنة ٥٢٦ هـ ، ووصل إلى «تسكريت»
فأقام له نعم الدين المنابر على نهر دجلة ، فمر رسكي من هناك ، وبالع نعم الدين
في كرامه ، فحط له رسكي هذا الجليل ، حتى إذا اضطر نعم الدين إلى الخروج
من تسكريت سنة ٥٣٢ هـ ، فمكر هو وأخوه في الذهاب إلى الموصل ، حيث
عماد الدين رسكي ، فأحسن لقاءهما ، وأعطهما إقطاعات كثيرة ، وصاروا من جملة
أحماده ، وظلا في خدمته ، وخدمة أمه من بعده : نور الدين محمود ، وأصبحا
من أكبر أمراءه . ولما اشتد التنافس بين نور الدين والصليبيين على امتلاك مصر
اختار نور الدين لقيادة الحملة التي وجهها إلى مصر أسد الدين شيركوه ، واستصحب
هذا معه ابن أخيه : صلاح الدين ، وكانت الخلافة العاطمية يومئذ تلفظ في مصر
أقسامها الأخيرة ، واستطاع شيركوه أن يلبى الوراثة للأصاغر آخر حلفاء العاطميين ،
ولما مات حل صلاح الدين مكانه ، ولم يلبث هذا أن أسقط الخلافة العاطمية ، وأعاد
الدعوة فيها لبني الساماني ، على أنه تابع لنور الدين ، وعمل صلاح الدين منذ ذلك
الحين على الاستقلال بمصر ، وصمم على أن يقوم بتعيينه في حرب الفرنج متعصب

(١) الشحنة سكر النين : من فيه الكفاية لصعد البلد من قبل السلطان : الشرطة.

ديار الإسلام ، ومئات الظروف لصالح الدين أن يوحد تحت حكمه مصر والشام ، وأن يقصق قومه الوحدة على الأيديين ، فيترع منهم ، ما اعتصده ، ويقبح بيت القدس ، ويكافئ ما قامح حياً إلى البحر . وقد حلد له التاريخ هذا الجهاد المأني ، وحقن اسمه بين أسماء الأبطال الخالدين .

وقد عاد صلاح الدين في الحكم والجهاد أخوه العادل أبو بكر ، فكان له الممدد الساعد ، والنفوذ الأيمن ، والنفس في إبداء الرأي ، والوطن لعرش الأسرة في أرحاء هذه الإمبراطورية الداربية الأمارات ، نوب عن أخيه في الحكم إذا عاب ، تمدد منه الحبس في ماراته المذل ، ويسود علامة الأخوين الحب والصفاء والإخلاص . ومفضل هذا العادل وما أظهره ثقة أساء الأسرة . من نصاص ، وتكاف ، والد ، حول صلاح الدين ، أسس عرش الأيوبيين بمصر والشام ، وتوطد أركانه . وقد استعان صلاح الدين بين أسرته ، ووصيههم ككاماً في أمحاء إمبراطوريته ، فاحصوا له وعاونوه .

ولما مات صلاح الدين ، خلف بين أسرته ، وعادى بعضهم بعضاً ، وتنازعوا أمرهم بينهم ، فعشوا ودهمت رحمتهم ، واستطاع العادل أن يستولى على مقاليد الأمور في إمبراطورية أخيه ، وكان العادل سياسياً محنكا ، قديراً على نصريف الأمور ، وتدير شئون الدولة ، فأراد أن يعود بينه الحكم ، وأن يستكنق هو بالإرشاد والتوجيه ، فقسم مملكته بين بنيه ، فكانت مصر لابنه الكامل محمد ، والشام لابنه العظيم عيسى ، والشرق لاسه الأشرف موسى . وسار هو ينتقل بين البلاد ، وإذا حرب أمر كان رأيه في المشكلة مصباحهم الهادي .

ولم تكن الأسرة الأيوبية تتوطد أساس مملكها تحب ، ولكنها عبت إلى جانب ذلك نشر العلم وإداعته في الناس ، تشيدوا المدارس في أرحاء الإمبراطورية ، واشتركوا في تشييدها أمراء الأسرة وسيداتها ، بل خدمها وعتاؤها ، وبنلوا

للعلماء وقربوهم إليهم ، ورحلوا هم إلى بلاد لهم والأخذ عنهم ، ووسّعوا عليهم في الرأى ، وحسّوا إلى العلماء الرحلة إليهم ، ولم يفتأوا عليهم عال ، فكان ذلك سداً في مهضة علمية شاملة ، وإذا كان الفاسقة من بين الملوم هي التي لم يمسها التشجيع في عهد صلاح الدين ، فقد عاد إليها الأرواح في عهد المعظم بن العادل ، والناصر داود بن المعظم .

والثب حول إساءة الأسرة الأيوبية طائفة كبيرة من الشعراء ، وسجلوا أجدادهم ، وحملوا ذكركم ، وبنوا جبرهم ورفهم ، وشبه الأيوبيين في ذلك بالعاظميين الذين كانوا جالس على عرش مصر من قبلهم .

وبدكر التاريخ لما . الأسرة بلاذها الحسن و حرب الفريح ، فقد سجل صلاح الدين راية المهراد بيد قوية ، وصلى بحارب المسلمين في غير رضى ولا هواة ، حتى استرد معظم ما احتصوه ، ولم ينق في يدهم . وى العليل ، واسع العادل سنة أخيه وإن لم تقع في هذه حروب كروب الحمازة التي وقعت في عهد أخيه من قبل ، ويقال : إنه مات حمره على سقوط روح دمياط في يد العدو ، سنة ٦١٤ هـ ، واجتمع تنوء من بعده على حرب الفريح ، وتم لهم النصر المؤزود في دمياط ، وكان للمعظم عيسى دور في ذلك النصر العظيم .

مولده ونشأته

شهدت القاهرة عام ستة وسبعين وخمائة للهجرة (١١٨٠ م) مولد أحد أعلام العادل أنى مكربن أيوب صحنى : عيسى ، وثب مالك المعظم ، وكان ميلاده في قصر الزمرد أحد القصور الرائعة التي كانت للعاظميين ، وورثها عنهم الأيوبيون . ولما ندرى أطلال مقامه بالقاهرة ، أم انتقل منها صغيراً إلى دمشق ، ولكن نشأته العلمية كانت بالشام ، على ما أوجح ، قرأ القرآن ، ودرس علوم

الأدب على أحد أعلام العصر ، وهو تاج الدين الكندي ، أخذ عنه كتاب
سبويه في النحر وشرحه للسيراي ، وكان الحماسة لأبي تمام ، كما تلقى عنه
القرءات ، وقرأ عليه في كتاب الحجة لأبي علي الفارسي . ودرس الحديث ،
سمع فيه مسد أحمد بن محمد ، على محمد بن عبد الله . وثقة . على مذهب أبي
حنيفة ، حفظ فيه المحدثي ، واعتنى بالجامع الكبير ، وتلقى المذهب في أول
الأمر على حماد الدين المازي . ثم على رجل من كبار رجاله ، وهو جمال الدين
الحصيري ، ولست أدري السب الذي دعه إلى اختيار مذهب أبي حنيفة ،
والانصراف عن مذهب الشافعي الذي كان عليه أهل بيته جميعاً ، ولا بين لنا السر
في هذا إلا - يارما ذكره هو على - بل العكاهة ، عند ما سأله أبوه المادل في ذلك
قائلاً : كيف احترقت مذهب أبي حنيفة ، وأهلك كلهم شافعية ؟ فأجاب إياه
مداعماً : يا مؤيد (١) ، أما ترضون أن تكون فيكم رجل واحد مسلم أو تنصب
المعلم لذهب أبي حنيفة تمعباً كبيراً ، من ذلك أنه عمل خليف المسجد الأقصى
وكان شافعيّاً ، وولى الخطابة رجلاً حنفيّاً ، وأمر المؤذنين ألا يؤذّنوا في تكبير
الصلوات بالحرم إلا خلف الإمام الحنفي ، ليس غير . وبني بالحرم الشريف قبة
وقف عليها ومعا حليلاً ، على أن يدرس في تلك القبة الفقه والقراءات السمع ،
وشرط الانصراف من وديها شيء إلا للحنفية فقط . ولما وقف المعلم على تاريخ
بشاد ، وفيه مطاعن على أبي حنيفة ، رواها الخطيب ، رد عليه الملك المعظم في
ذلك ، وصنف كتاباً سماه : الهم المصيب في الرد على الخطيب ، سوف تتحدث
عنه عند ذكر مؤلفاته .

واراد المعلم أن يدل السبيل إلى معرفة مذهب أبي حنيفة ، فأمر الفقهاء أن
يجرحوا له مذهبه دون صاحبه ، فجرحوا له المذهب في عشرة مجلدات ، وسماه :

(١) خوند : أمير ، ومنها (خان) .

التذكرة ، فكان لا يمارفه سراً ولا حضراً ، وكتب على ظهر كل مجلدة : انتهاء
جمعاً عيسى بن أبي بكر بن أيوب . قال سبط ابن الخوزي في كتابه : مرآة
الزمان : قتلت له : ربما يؤخذ هذا عليك ؛ لأن أكرم مدرس بالشام يحفظ
القدوري مع تصرفه ، وأنت مشغول بدير المالك ، تكتب خطك على عشرة
مجلدات أنك قد جمعتها ، وقال : ليس الاعتبار بالأدب ، وإنما الاعتبار
بالماني ؛ فاسألوني عن جميع مسائلها ، فإن قصرت كان الصحيح ممكناً ، وإلا
صلحوا لي ما قلت .

وشارك هو ، وهـ في التأليف في الفقه على مذهب أبي حنيفة كما سري .

ومع ذلك أفرغ حياته لذهبه عند ما رأى صواب الرأي في هذه الحالة ، وروى
صاحب مفرج الكروب في أخبار بني أيوب أن المعظم قال لوالده سبط ابن الخوزي
 يوماً : أكان لمدينة المرأة سور ، فقال : نعم ، وإنما المريح لما ملكوا المرأة ،
واستنفدها منهم الشهيد أنك بن سقر ، هدم سورها . ثم ذكر له واقعة جميلة
عنهما أنماك مع المرتين ، وهي أنهم طلبوا منه أن يرده عليهم أملاكهم التي كانت
مأبديهم ، قبل أن يملكها المريح ، فرسم بردها إليهم ، فقال له بعض القضاة :
إن من مذهب أبي حنيفة أن الكفار إذا أخذوا من المسلمين ماله ، وفيها أملاك
للمسلمين ملكوها ، وإذا فتح المسلمون تلك البلد كانت الأملاك لبيت المال ،
وحسنوا الآثام الاستيلاء على تلك الأملاك ، والأمر بردها إليهم ؛ لأنه
حنفي ؛ فقال أنك الشهيد : لا ، والله . بل ردّها عليهم ؛ إذا كنا نحن
نأخذ أملاكهم ، والإمريج نأخذ أملاكهم ؛ فأمر فرق بيننا وبين الإمريج ؛
قال والد السبط بعد ذلك : لقد علمت في هذه الحكاية ؛ لأن المعظم حنفي ،
وفي هذا القول تشبيح على أبي حنيفة ، ولكن السلطان تنامي عن ذلك ،
وأظهر استحسانه .

ورعاً كان من الأسباب التي جعلت المعظم إلى اختيار مذهب أبي حنيفة
والتي نصب له ، هو ما يثار به هذا المذهب من اعتناء كبيراً على القياس ، وذلك
يتناسب إلى مدى بعيد مع ما طبع عليه المعظم من الحرية الفكرية .

ورعاً كان من الأسباب بإحاطة أبي حنيفة بشرب الأسمدة التي كان المعظم
معتاداً شربها ، فقد أباح أبو حنيفة شرب البديد مادام لم يسكر ، وفهم التحريم
على الخمر والإسكار .

وأقبل المعظم عسى على التيمم ، لا يقنيه عنه شغل مهم ، ولا يصرفه عنه سفر
ولا جهاد . ذكر صاحب معراج الكرو أنه ودف على نسخة من كتاب
سدويه ، وعليها خط المعظم في عدة مواضع ، يقول في بعضها : أتممت هذا الكتاب
مطالعة ومراجعة ، وأما ما رل لدسة « أرسوف » ، وفي بعضها يقول : أتممت
مطالعة ومراجعة ، وأما ثالث .

وعرف المعظم للمعتمد ، ولأهل العلم مقامهم ، روى مؤرخوه أنه كان يتردد
على أستاذه : الحصري ، والكندي ، في أكثر الأوقات ، وكان يمشي من القلعة
راسلاً إلى دار تاج الدين الكندي ، والكتاب نحو إطله . وكان يجلس في تواضع
بين يلامذه الكندي الذين يقرءون عليه ، من غير أن يجاز عليهم في شيء ، بل
كان ينظر راسياً حتى يأتي دوره في القراءة على أستاذه .

ووجد لفته الكرمي في المجلس مع العلماء ، والبحث معهم ، ومناقشتهم ،
ولهم منه التسجيل والإكرام .

أسانذته وبطانته

اشتهر من بين أسانذة المظفر أربعة كانوا من أشهر رجال عصرهم ، برع أحدهم في النحو ، وتأليف في اللغة ، وثانيهم برأسهم في الحديث أما الأول فتاح الدين السكيتي الذي ولد بمعداد ، وبلغ بها ثقافته ، وظهر بوعه في سن مسكرة حفظ القرآن ، وقرأه بأقراءات العشرة ، ودرس النحو واللغة والأدب والحديث والعروض والفتنة ، وبلغ في كل من هذه شق ، وارتفعت منزلته بها حتى استورده أحد أمراءها .

ولكن نجاح الدين : عمل بالتعليم والإفادة أكثر مما شغل بال تأليف ، ثم غلب كتابا سبب محاربه من شهر ، وبعد صوته ، ولا حواس على شرح الواواء لديوان المتنبي ، وتعليقات على خط ابن سائنة ، وكتاب سماه : تنبيه اللبابة من ابن دحية ، رد فيه على ابن دحية السكيتي في مسألة محوية . ومات الساج في حياة المظفر عيسى ، وكان في حياته وبعد مماته ، وطن مدح الشعراء ونحيدهم ، فما مدح به قول الشاعر :

لديساب السكيتي : زيد أبي البر	بن ، إمام الأمام ، فرد الزمان
فقد قول الأمام في العلم عساه	دات : قهر لأفضل والمرفان
هو بحر فيه ليس لآل	وسواء كالآل عد العيان
سورة صورة من التؤدد الخ	ش ، وطيب الألفاس والإحسان
علم سيدي به متعرد فيه	ياستناده وبالإنقيان
والنفايس ، والقراءات ، والتج	ويد فيها ، ومشكل القرآن
وحديث النبي ، والقول فيه	قوله في عريه والبيان
والتواريخ ، والقوافي من التمه	ر ، وعلم العروض والأوران
يقط ، واسع المجال ، رحب الب	ناع فيما ينأى عن الأدهان

ومما رثى به قول ابن الساعاتى من قصيدة بدأها بقوله :

هوى قر العلياء يا سارى الخس فهبات أن تحو الدجى آية الصبح
 كأن نحموم الأذى حيرى الغفد وقد فكمت حرمان الليل وصرح
 وعاشت أهاصيب الدماحة والسدى وأحلافها^(١) كما إن تدثر على المسح
 معى الحبس الكدرى حال سبيله فلا أحد يرعى لمع ولا منع

وأما الحميرى فقد انتهت إليه رئاسة مذهب أبى حنيفة فى زمانه ، ولما دخل دمشق رغب به المأمون ، وعرض إليه تدريس المدرسة النورية .

وعنى الحميرى بالآلئ ، وشرح الجامع الكبير الذى ألفه صاحب أبى حنيفة : الإمام محمد بن الحسن الشافعى - شرحه . أحدهما مختصر ، راد فيه على ما فى الجامع رهاه ألف وستائة وثلاثين مسألة ، وأكثر من القواعد الحسابية ، وبالم فى الإيضاح مائة طائر والشواهد ، وإيراد المروق بأوجز العبارات ، وهو فى مجلدين ، وتابيهما المطول الذى بلغ فى الجمع والتحقى المائة ، وهو المسمى بالتحريرو فى شرح الجامع الكبير^(٢) ، وهو فى ثمانى مجلدات ، أنه حين قرأه عليه الملك المأمون . كما ألف الملك الناصر : داود بن المأمون ، وكان تلميذه أبصا ، كتاب المطلب فى العلم المروع ، وهو كتاب فى العناوى . وله الطريقة الحميرية ، فى علم الخلاف بين الشافعية والحنفية^(٣)

ويذكر مؤرخوه أنه كان من العلماء العاملين ، رقيق القلب ، كثير الصدقة ، نزيها عريما ، كبير العقل ، عظيم الدين ، تدو عليه الهيئة والوقار .

وأما الثالث فأبو على حسن بن عبد الله بن الفرج ، سمع السندى بغداد ،

(١) أحلاف : جمع خلف وهو لسانه كالصرع الشاة .

(٢) مختصرا بدار الكتب رقم ٩٩ فقه حن .

(٣) مخطوطة بدار الكتب رقم ٣٦٦ أصول الفقه .

وكان بها فقيرا معدما ، فبقي له لو سافرت إلى الشام . فقدم إلى دمشق ، وألقى دروسه بالكلاسة ، وسمع المعلم السدمني في جمع كثير ، وأكرمه المعلم إكراما شريفا أعياه ، وصار له مال حم .

أما الرابع محمد بن عبد الله القسبي ، الذي رسل لسماع الحديث ، ثم عاد إلى دمشق ، وكان له حنفة بجامها ، وكان حافظا زاهدا ورعا ، صاحب المعلم عدي ، وسمع بقراءته الكثير .

وأما المعلم نفسه فجماعة من أدياء عصره وعلمائه ، لا يفارقونه في سفر ولا حضر ، منهم . غر نقباء مصر الله سبحانه الله المروءات بن بصافة ، وكان حنفيًا على مذهبه ، درس الأدب في مصر ، وتقدم في النظام ، وكتابة الرسائل ، وله ديوان شعر ، وعت ميراثه عند المعلم ، ودرته الناس ، ومدحه الثمراء .

ومهم . جمال الناس بن شيت ، وكان مصريًا أيضًا ولد بإسكيا ، وشأه قوس ، وتلقى دراسته بها ، وعنى بالآداب فله وترو ، وكان يوصف بالورع والدين والروعة ، وكان بينه وبين المعلم إعتات ، كتب إليه حرة أنه لا فارقه ودخل مبره ، طالته أهله بما حصل له من ابن السلطان ؛ فقال لهم ما أعطاني شيت ؛ فقاموا إليه بالحماق وسمعوه ، وكتب بعد ذلك شعرا :

وتحالفت ببعض الأكف ، كأنها لا تصفيق عند مجامع الأعراس
وتطابقت سود الحماق ، كأنها وقع الطارق من يد النحاس
مرى المعلم الرقة إلى غر القصة بن بصافة ، وقال ، أحبه عنها ؛ فكتب إليه ثرا ، وفي آخره :

فاصر على أحلامهن ، ولا تكن متحلقا إلا بمحلق الناس
واعلم إذا احتلت عليك بأه « ما في وقوفك ساعة من بام »

داني من آثار ابن شيت الأدبية كتابه : معالم الكتابة ، ومقام الإصاية ،
وضعه في آداب الكتاب الديواني ، وما يجب أن يتصف به : من الصفات الخلقية
والعلمية ، في مذهب كتابة الرسائل ، وقد فيه فصلا للدلالة وما يتصل بها .
وقد تولى ابن شيت كتابة الإيشاء المعظم .

و منهم شرف الدين محمد بن اسير المعروف بابن عيين ، وكان من أكره شعراء
عصره ، نفاه صلاح الدين من دمشق ، حين انه طلى شعره في نقد الدولة ، و هجاء
القائمين بها من وراء وقعة وفراد ، وعمر علماء دمشق ورؤسائها وأعيانها .
وبلغ من عداوته حتى مات صلاح الدين ، وآت اسير بطورته إلى المادل
الذي له بها من عداوة ، كان دمشق من بعد اسير المعظم ، وعاد إليها ابن عيين
حيث ، فقبل عليه الملك ، وحمل من أهله امرئين إليه ، ودرلخده ، وبطرب
لدايته ، ويعتمد عليه فيما يهمه من الأمور .

وكان ابن عيين فعلا عن شعره ، كما يقول الأدب ، واسع ازرواية للشعر
وأخبار العرب ، متقنا لآله ، محط كتب الجهرة لابن دردد ، طويل الناع في
المحو ، الذي كان المعظم يسمي به أيتا عناية ، مشاركا في الحديث واقعته ، ملما
بألوان التعمدة الإسلامية لهذه من تفسيره ومطلق ، وفلك ، وحساب ، وهدسة ؛
فكان ذلك من الأسباب التي دفعت المعظم إلى زيادة تقريبه ، ورفع مكانته ، حتى
ولاه وداره ، وكان يسرع منه إلى انمالك المخاورة ، ولا يكمه مع شدة رعبه في
حجة المعظم ، رعب أن يبعيه من الوزارة ، واستعمال من حمل أعيانها ، وكتب إليه .

أقلى عتارى ، واحتسبها صنبة	مكون برحاما ، لك الله حاريا
كفى حربا أن استترسى ، ولا أرى	فنى راضيا عني ، ولا الله راضيا
ولست أرجى مد سعي حجة	حياة ، وقد لايت فيها الدواهي

ويظهر أن الشعب في دمشق لم يكن راضيا عن وراثته ؛ لاسي تاريخه

في المحامد وحدث لسانه ولكن المظم لم يرض أن يقبله ، وبقي على ذلك حتى
توفي الملك وشعر أن من واجب وأخباره سطق مودة سانه بالمظم ، كتب إليه
وهو صريع :

أشكر إلى سجين مؤلف لم يرل يولى المدي ، ولاف هل تلاق
أنا كالذي : أحساج ما تحساجه فاعلم نوابي والشاه الوافي
ولما قرأها أنه بعسه ، ومعها ثلاثة دبر ، وقال . هـ به الصلة ، وأما
العائد .

أما الدعيات الأدبية التي كان الشاعر يطرف بها الملك المظم فكثيرة ، منها
ما قاله يداعب آل الدين بن شيت ، والرشد بن النابلسي ، وهو من الشعراء
الذين كانوا يمدحون بني آرد ، ويصيف بعسه إليهما :

أنا ، وابن شيت ، والرشد ، ثلاثة لا نرعى مننا الخلق فائدة
من كل من صمرت يداه عن المدي يوم الجدا (١) ، وتطول عند المائدة
وكأنا وادو بممر الحقت أو إصبع بين الأصابع رائدة
وقال يداعب ابن شيت أدياً ، وبعض رجال حاشية الملك المظم ، وكان ابن
شيت صغراً يصنعه الكيمياء .

أما وائش شيت في الميام زيادة وان الميس ، ودا المين الموق
لا تيلنا رحي ، ولا أديا دسا قهرى ، ولا يدعى لدع عروف
أما الملق ، كما علفت ، فسكه نص على زبدية ورعي
وفني بحيلة إن قرا ما حطه أنصرت مع عرائب التصحيف
ومووس بالكيمياء ، يقطع الأوقسات بالآمال والتسويب
بمى من الأبول تراً خالصاً عقل ، لمر أيك ، جدد سحيف

وأما وشعري ، كم يضمني الذي فيه ، فلا أصنى إلى الضعيف
فمنصب ابن شيت ، وشق عليه أن يسخر منه ، وشكاه إلى المعلم ، وأحضره ،
وأخذ عليه عهداً ألا يتعرض لابن شيت .

وسوف نتحدث عن ابن عنب وشعره في المعلم ، في العمل الذي سنعقد له لعة
المعلم بالشعر .

هذه العناية التي اتخذها المعلم عيسى تدلنا على الانحاء الذي رسمه لنفسه
في حياته ، ورعته القوية في أن يشهد من العلم ، ويعترف بقدر ما يستطيع
من دون الأدب ، حتى استطاع أن يكتب اسمه بين علماء مذهب أبي حنيفة ، وأن
يصعد مؤرخوه بأنه رب السيف والقلم .

كتبه

ذكر مؤرخو المعلم أنه أعنى بالجامع الكبير ، الذي أتمه محمد صاحب أبي حنيفة ،
فشرحه في عدة عادات ، ولم يس هؤلاء المؤرخون أن يدكروا مداومة غيره له في
هذا الشرح . ولم أعتز عليه فيما بين يدي من مدارس المكتبات .

ويسون إليه كتابا في المروءة ، ربما كان الدافع له على تأليفه رعيته في أن
يسنكر النفس الذي كان يشمر به ، وقد كان لا يقيم وزن الثمر في بعض الأحيان ،
ولم أعتز عليه كذلك . كما تم أعتز على كتاب (الرد على ابن سينا) الذي ينسبه
إليه بعض مؤرخيه .

أما الكتاب الذي نرى لنا إلى اليوم من آثاره فكتاب « السهم الصيب
في كد الخطيب » . دمه إلى تأليفه جبه لأبي حنيفة ، ونمسه لذهب ،
قد وضع الخطيب أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت القفادي كتاباً سخفاً في
تاريخ بغداد ، ترجم فيه لعلائها ، ومن بينهم أبو حنيفة ، وفي غضون هذه الترجمة ،

أورد ما أخذ على أي حقيقة لمن بها عليه ، فنصب المقام عسى نفسه لارد على هذه المطاعن ، ومضى يقصها مسألة مسألة ، على حسب ورودها في الكتاب ، يأتي بقول الخطيب ، ثم يرد عليه ودل المؤلف ، كتابه هذا على معرفه واسعة مسائل الفقه ، وقواعد النحو ، وعلم الفرائد ، وأساليب الترخيم ، ورجال الحديث ، وعلى قدرة على الجدل ، والبرهنة ، والاستدلال ، وكان كتابه سيويه مرجعه في مسائل النحو ، مما سبي به عمق دراسته لهذا الكتاب ، وفهمه لدقائقه ، وحفظه لشواهده .

لم يوجب المقام كتابه ، ولكن استطاع أن ينهي النواحي التي هي بها المؤلف ، وما أحد الخطيب على أي حقيقة ، والطرق التي رد بها المقام عليه .
في أول الكتاب رد المؤلف على ما ادعوه من أن أبا حنيفة لا يجهل النحو مستدلين على ذلك بأن رجلا سألته بكه : فقال له : رجل شح رجلا محجر ، فقال ليس عليه شيء ، ولو رماه بأنا فليس . ورد المقام على ذلك بردين : أولهما أن قد جاء مثله للعرب ، وهو قولهم :

إن أناها وأبا أبها

ودالما في المجد عاينها

إدلم يقل : وأبا أبها .

وثانيهما أنه أورد مسائل تسع الثلاثين ، نقلها المؤلف من الجامع الصغير والجامع الكبير ، لصاحب أبي حنيفة محمد بن الحسن ، حكاه عن الإمام أبي حنيفة دالة على مكانته من علم العربية . فمنها أن الرجل إذا قال لامرأته : أنت طالق إن دخلت الدار ، لا تطلق حتى تدخل الدار ، ولو فتح أن طلقت للوقت ، والعرق بينهما أنه إذا كسر (إن) ، كانت للشرط ، وإذا فتحها كانت بتقدير اللام ؛ فكأنه قال لدخولك الدار .

وانتقل إلى السائل الملموية بين فيها حظ إلى حنيعة من معرفته بالآلة ، وإذا
بذلك على من يزعم أنه غير حبيبها

ومضى إلى ما حكاه الخطيب عن أبي حنيعة من المسائل التي تتعلق بالإيمان ،
وأما كان مرجعنا وجهها ، قال الخطيب : قد سقنا عن الأئمة أحاديث كثيرة ،
تتضمن تقريرا إلى حنيعة والمدح له والثناء عليه ، والمحفوظ عند بقلة الحديث عن
الأئمة المتقدمين وهؤلاء المذكورين منهم في أبي حنيعة خلاف ذلك ، وكلامهم فيه
كثير لأموال شعبة حطت عليه ، يتعلق بمصالح أصول الديانات ، وحديثها بالمعروف ،
بحسن دأروها ، يشبه الله ، ومعتزرون إلى من وقف عليها ، وكره معاصيها ، بأن
أما حنيعة عندما مع خلافه ، ودره أسوة عمره من العلماء الذين دونا ذكرهم في هذا
الكتاب ، وأورد أحاديثهم ، وحكيما أقوال الناس عنهم على قبايلها .

وهذا قال المعظم : أما قول الخطيب هذا ، فإنه إن شاء الله ، بين أن قصده
خلاف ما ذكر من المذنب ، وإنما قصد الشاعة ، حرارة منه وإفراء . وقيل عن
الخطيب ما حكى عن أبي حنيعة في الإيمان ، قال : أحربنا الحسين بن محمد بن الحسن
أحو الحلال بإساده إلى وكيع ، قال : سمعت الثوري يقول : نحن المؤمنون ، وأهل
الجنة عندما مؤمنون في الأسكحة والوارث والصلاة والإقرار ، ولما دثوب ،
ولا يدري ما حالنا عند الله . ثم قال : وقال أبو حنيعة : من هل يقول سمعان هذا
هو عندما شك . نحن المؤمنون هنا ، وعند الله حقاً . قال وكيع : ونحن نقول
يقول سمعان ، وقول أبي حنيعة عندما حرارة .

وهما يدلان المعظم على ذلك فيقول : أعلم وفتك الله أن الإيمان هو التصديق ،
وأعم أنه لا يكون تصديقا بدون المعرفة ، والمعرفة لا تكون مع الشك ، إنما
تكون مع اليقين ، وإذا ثبت هذا فحين المؤمنين هنا ، وعند الله ، لأن المعرفة
لا تحتجب ، لأن من عرف هنا كان عارفاً عند الله ، لأن المعرفة ترفع الجهل .

وأما قول أبي حنيفة عن سليمان في قوله - نحن المؤمنون ، وأهل القبلة عندما
مؤمنون نحول على قوله تعالى : « قالت الأعراب : أما قل : لم تؤمنوا ، ولكن
قولوا : أسلمنا ، ولما يدخل الإيمان في قلوبكم » . ألا تراه في الإيمان عن أسلم
إلا من عرف قلبه ، فقد ما قلت : إنه لا يكون إيمانا إلا بعمره

وحينما يذكر أن يكون ما رواه الخطيب صحيح النسبة إلى أبي حنيفة ،
كرواه مما نقله الخطيب ، مسبوفاً إلى أبي حنيفة ، من أنه قال : لو أن رجلاً عبد
هذه الممل تنفرت بها إلى الله لم أر بذلك بأساً . وذكر الخطيب أن ذلك كفر
حراج . فقد بي أن يكون ذلك مما نقله أبو حنيفة ، « فهذا لم ينقله أحد من
أصحاب أبي حنيفة . وأعلم أن أصحاب الإنسان أعرف به من الأجنبي . ثم أعلم أن
مذهب أبي حنيفة له أصول وقواعد وشروط لا يخرج عنها ، فاما أصول مذهبه
رسمي الله عنه ، فإنه يرى الأحاديث بالقرآن والآثار ما وجد ، وقواعده إلا يفرق بين
الحديثين أو الآتي والخبر ، فمهما أمكن الجمع بينهما ، إلا أن ثبت باسماً أو مسوخاً
وشروطه إلا يبدل عنهما ، إلا أن يجد فيهما شيئاً ، فيعدل إلى أقوال الصحابة
الملائمة للقرآن والسنة ، وإن اختلفوا تخير ما كان أقرب إلى الكتاب والسنة .
فهذا عليه إجماع أصحاب أبي حنيفة . وأعلم أن أحبار الآحاد المروية عن النبي
صلى الله عليه وسلم توجب العمل ، لأجل الاحتياط في الدين ، ولا توجب العلم .
وأحبار السواتر توجب العلم والعمل بها ، فكيف بك عن أحبار الخطيب هذه ،
التي لا تسكاد نفعك عن قائل يقول فيها . فإذا مارلت الأمر ، وساوينا ، قلنا :
أحبار أحبار آحاد ، وأحبار أصحاب أبي حنيفة متواترة ، والعمل بالمتواترة أولى .
وقد ثبت مذهب أبي حنيفة وأصوله وقواعده ، فإذا ثبت أن هذه أصول
أبي حنيفة ، فكيف يسوغ له أن يقول هذا . مع علمه بقوله تعالى . « ما تنبئهم
إلا ليقرربونا إلى الله ربنا » فهذا لا يصح عن أبي حنيفة .

على هذا النحو جرى الملك العظيم ، في الرد على السائل التي أثارها الخطيب ،
يحط بها من دور أبي حنيفة ، ويشكك في قيمة مذهبه . ومن أعرب ما رواه عن
بعضهم أنه قال : كنت آتي أبا حنيفة أسأله عن الشيء من أمر العرب ، فسأته
عن مسألة ، فأجاب ، فقلت له : إنه روى فيها عن النبي صلى الله عليه وسلم كذا
وكذا ، فقال : دعها من هذا . وسأته يوماً آخر عن مسألة ، فأجاب فيها :
قلت له : إن هذا روى عن النبي صلى الله عليه وسلم فيه كذا وكذا : فقلت :
حك هذا بذنب خنزير .

ولا بد للمعلم في عدم قبول هذه الرواية ، فيقول هذا النقل يخالف مذهب
أبي حنيفة . ثم إن الخطيب لم يبين المسألة التي ذكر الراوي أنه سأل أبا حنيفة
عنها ، ولا الخبر الذي أورده الغزالي .

ووقف المؤلف داوبلاً عندما رواه الخطيب عن العلماء : من دم رأى الإمام
والأخيراً منه ، فرد على ذلك مسألة مسألة .

ولم يفتح المعلم بما قام به من الرد على ما أورده الخطيب منقضا به أما حنيفة ،
بل مضى إلى الرجال الذين روى الخطيب عنهم ما انتقص به أبا حنيفة ، فأورد من
أحوالهم ما يبين به أسهم بحر حوز في رواياتهم ، لا يوثق بهم فيما يقولون أو يروون ،
ومستهدأ في بحرهم عما أورده الخطيب عنه في كتابه : تاريخ بغداد ، ومن
لم يدكرهم الخطيب ، مضى إلى كتب المرح والتعديل ، يستق منها أحاديث التي
لا تحمل رواياتهم أهلاً للثقة ولا الاطمئنان .

ولم يقتصر الملك العظيم على ذلك ، بل ذهب إلى الخطيب بمسألة مؤلف
الكتاب ، وبين ضعف حظه ، وأنه كان مصححاً ، يجمع في كتبه الأحاديث
التي يسم أنها ليست صحيحة ، وروى عن بعض أهل المعرفة بالحديث قوله : ثلاثة

عن الخطاط لا يهمل ، أشدته ، معهم ، وقوله إيعاهاهم : الحاكم أبو عبد الله ،
وأبو يعقوب الأصماني ، وأبو بكر الخطيب .

قال الخطاط : وأما الخطيب فإنه راد علمهما في التصحيح وسوء القصد . .
ولو شاء يذكر أعلاطه وما نصب به أطال . ومن دافع به العصبية إلى ما قد
ذكر من خطية الخطيب ، والتدليس على الخطيب ، لا ينبغي أن تقل حرجه وتنبذله ،
لأن وقوله يثنى ، عن قلة دين .

ولقد نقلت من خطه أشرطة فكلها منها .

باب الخطيب ، وذكر له من ليلة منها أقام إلى الصباح مما بقي
ثم الصباح آتى ، ففرق بيننا ولطفنا يصفو سرور الماشق
حسنا . . .

ومن هذا حاله لا صلاح أن يكون ، وله الأئمة الذين في أقوالهم في المرح
والثناء ، بل وروايتهم

وهكذا انتصر لأبي حنيفة ، ولم يرخص إلا بأن يهدم البناء من أساسه .
والكتاب سهل الأسلوب ، واضح العبارة ، لا انواء في سيره ، ولا عوض في
أدائه ، وهو يجمع من مقدمة لدوام تحمده ، ومن منهجه ، ولكه يدل على
واسع علم الخطيب ، ودفقته في المناقشة والمجادل ، وأحد الواسع من جميع أطرافه .

تشجيعه للعلم

ليس عجيب أن يمدح العلم في كنف هذا العالم الذي طال طلبه لا يأتى إليه ،
وأن يسطر الملك يده بتشجيع العلماء ومن يطلبون العلم ، حتى وجد العلماء في
ملكته الرخاء والسلام ، فادعوا عليها آتئين على رزقهم ، وحياتهم ، فأردهم
العلم في عهد ، وعفت سرقته في أيامه ، فقصده العلماء من الآفاق ، فأكرمهم

وأغدى عليهم الرق وأحرى عليهم الرنات الوافرة ، وقرهم منه ، وصار
يحالهم ، ويستعد منهم ، وعيدهم ، وناظرهم .

ولم يسطط المظلم حاشته على علم دون علم ، بل وحده في جميع ألوان العاوم
وسيلة للوهوس العقلي لشبهه ، وكان من بين إحقته ، الحب للعسفة والمنشجع على
دراستها ، والحامى لدارسها ، فإياكات العسفة قد سمعت دراساتها في عهد
صلاح الدين فقد عادت إليها الروح عندما صعد المظلم على عرش دمشق ، فاشهر
الاشتغال بعلوم الأوائل في دوائه ، وأمس المنسلون بها على أرواحهم ، بل وحدوا
عنده التقريب والتشجيع .

ويحفظ التاريخ من أسماء هؤلاء العلماء سيف الدين الآمدى ، الذى أحكم
دراسة أسول الفقه ، وأسول الدس ، ورع في الخلاف ، والحمل ، والطاق ،
والعسفة ، وساعده على الروح في ذلك دكا . فرط بعض الناس في تقديره ،
حتى قالوا إنه أدكى أهل زمانه ، وإكن الحياة لم تعط له في مصر ، فقد
تمصب عليه طائفة من الفقهاء ، بسوء إلى سواد العقيدة ، ومذهب العسفة ،
وكنوا محصراً يتضمن ذلك ، وحرروا فيه ما يستباح به الدم ، فخرج الآمدى
من مصر إلى الشام حائفاً بتره ، ومضى إلى حما ، ثم استندعه المظلم إلى دمشق ،
فجاء إليه ، وتولى التدريس بالمدرسة ، إحدى مدارس دمشق ، وأعقد عليه الملك
المظلم نمعه ، وقربه منه تقريباً وثيقاً .

ومهم شمس الدين الحورى الذى سمع في المبرم الحسكية والشرعية ، فبه
عندما ورد إلى الشام استجصره المظلم عيسى ، وسمع أحاديثه ، وأعجب به ، وأطلق
له مهرباً داراً ، وحمله من طائفة ، ثم ولده دواء القصة في دمشق .

ومن العلماء الذين تناولوا تشريحه كذلك سبطان الحورى ، صاحب كتاب التاريخ
المسمى : (مرآة الزمان) ، وهو من أهل الكتب في مادته . وشهر السبط بالوعظ ،
وكان له فيه لسان رطب ، ولسكلامه تأثير في القلوب ، ولوعظه قبول لدى الخاصة

والعامة ، وقد بال سعادة ووجاهة لدى الملك المعظم ، وصار عنده بالمرلة المظلم ، فكان يحضر محالسه بمجامع دمشق واما قدس ، ويذكر إلى جامع دمشق فيقدم عند المنبر بين العامة .

وقد جذب تشجيعه عالم أديباً من كبار علماء عصره ، وترك هذا التشجيع آنراً حالداً ، ضم به إلى أدب العربية ، تركت باعاً مافياً ، ذلك هو قوام الدين الفتح بن علي بن محمد البنداري الذي شافى أصفهان ، وترك بها ، ثم قدم إلى الشام ، ولحق بالملك المعظم ، وأهدى إليه كتاب الشاهنامه ، وهي نظم بالفارسية كتبها الشاعر العارفي الشهير أو القاسم الفردوسي ، وأودعه ، معظم ما وحي العرس من أساطيرهم وتاريخهم ، من أقدم عهدهم حتى الفتح الإسلامي ، ورنها ترتيباً تاريخياً ، نذكر الأمر فتبدأ بأول مواعدها ، تهي تاريخه ، وما كان في عهد من الحوادث ، ثم نذكر الملك الثاني ، وهم حراً .

أراد المعظم عيسى أن يسمع عما في الكتاب ، وأن يسمع به سراء العربية ، فطلب إلى أبي الفتح البنداري أن يترجمه إلى العربية ، فصدع بالأمر ، وحل أكثر من عام (من جمادى الأولى سنة ٦٢٠ هـ إلى شوال سنة ٦٢١) يعانى أمر ترجمة الكتاب ، حتى أنه ، وحل أن ترجم في مقدمته ، جليله ملك المعظم ، وما يقى منه من تشجيع ، إذ قال : « ثم إننا نحمد الله الذي شيد مداني التربية ، ومهد قواعد الإسلام ، بمسكان مولانا السلطان الملك المعظم ، شرف الدين والدين ، سلطان الإسلام والمسلمين ، ملك الملوك والسلاطين ، أبي الفتح عيسى بن الملك المسادل أبي بكر بن أيوب ، حين دلت له بواصي المباد ، وما كسر العالم وصعوة البلاد ، ومضى لأوليائه بالمر ، لأقدس ، والطرف الأشوس ، وحكم لأعدائه بلذل اللارم ، وللمطس الزاعم ، وأيد عمرائه بأمداد الفتح المبين ، وشيع ألبته . محمود النصر والتمكين ، وهو بأمر الله قائم ، آناه الليل وأطراف النهار . » هذا مع ما حصه

الله من المعصائل الباهرة ، والعلوم الزاهرة ، التي تسحر في قوتها واتواعها ،
وتلك أعضائها رافعا مسارها ، كأنوار على ساعها ، وهو ابن حلاها ، وطلاع تباياها ،
والستيد من أعضائها عزمها وصباياها ، حتى صارت أمه مواسم تحمل إليها
مصانع العلوم والآداب ، من كل مرمى شخص ، وعبرت إليه أكباد الطلي ، من
كل فج عميق .

ولما جدت السعادة مسمى ، وطاعت بطرق ، ووطئت ساطع مملكته
الفضيلة . قدمت برسم الخدمة لمرآة آدابها ، لارالت معمورة ببقائه ،
الكتاب الوروم شاه نامه ، الذي عني به الامير الحكيم أبو القاسم منصور
ابن الحسن المودودي الطوسي ، بطرأ داحيه بذكر الساجدين السعيد أني اقامهم
محمود بن ملك كهن رضى الله عنه ، ذا كرايه مملوك العرس ، وتوارخ أبائهم ،
وبشارحه بيه مفاصلهم المثورة ، وودونهم المشهورة ، مع وصف سيرهم الحليدة ،
وحلاهم السعدية في فامة العدل والإحسان ، وإنشاء الأمن والأمان ، وصرف
العباية إلى عمارة العلم ، وإسراع طلال الرأفة والرحمة على كافة الأنام ، موقع من
همته المالية موقع النول . لكبه رأي الكتاب مع ما نفعه أطايقه من بحاث
نصاريف الأروار ، وبدايع التأثيرات الأطوار ، والحكم التي تنفع بها عيون
العسائر ، والعمر التي تقوى بها أعصاب النجارب . قد استندت الديجيم بوائده ،
وتوشحوا بفلائده . وتخصصوا باستماع حكايته وأطاسيمه ، واستأثروا بالاستمتاع
بحكمه وأعاجيمه ، فانثارت همته الحوالة في سماء المكارم ، وعرقتة البوقادة في انهار
فرص امتاز ، إلى أن نعم بوائده ، وتكثر منامه وبوائده . فأمر بمملوكه
وصديقه : المتعنى علي بن محمد بن الفتح الديلمي الأصماني أن يرحله ، فيجمل
حكايته المطومة ، ويرع عن مدطعها أطوار الغامات المحميمة ، ويهين عليها
مضايف وشذاع الآلهط العربية ، ويكسوها رونق اللسان الذي هو أشرف

الأسن، المنزل به أصل الكتب، والتساقي به حير البشر، وحاصلان الأمم... فتصدي الماوك لما دبله، أمثالاً للأوامر المالية، ترمذ فرائض نامة ونفاه، وترتحم أحشاء براعه ولسانه، لأن هذه الحضرة لا زالت سطة حلالها تحمية من الاقصاص، ومما قد دواتها عروسة عن: الاندخس - عتدم قروم الراعة، ومعرس تحول الصناعة، الذين إذا هدرت شقائق أعلامهم، وحشت بحار خواطرهم وأهملهم، لمعت إلى عرهم الانحة، وحجولهم التوجه، من يرتفع لكفة عجمية، يسو عنها الطباع، وتحميها الأنعام، وكذب يستطيع ابن اللبون سولة الدول القمايس، وأنى سم الخشف الفير، عند زئير الأسد وسط الحيس؟ السكة أمل من أنوار السادة الساطية، التي إذا التفتت بين المسية إلى الهادة الحافية، كستها بهور الشمس البارة، وتوقع من المواقف الشاملة، التي إذا اشتملت على القداة الحاسنة، أمالت ناعها على مساكن الحلال الشاحمة. أن يكسو مما ملأ هذه الترجمة طمع الارتماء، وسوء ذكرها بحسن الإصفاء، ويود صفعات سمائها بأوار القول والإقبال، ومديها شرف الكمال وهاء الحلال، فليذك ما أهدم الملوك على نقل الكتاب...

وهذه المقدمة مصلا عن اعتراضها عما المعظم من وصل في الحث على ترجمة الكتاب - يشير إلى هـ الحاشية المضممة التي أحاط المعظم بها، والتي دومت مترجم الكتاب إلى أن يدل حمده في الترجمة وإقامها.

وكان المعظم، ربدأ على ذلك، يريد أن نذل سبيل العلم لطلابه، وأن يجمع ما هرق في الكتب في كتاب واحد، يسقه مؤلفه وطمه، محباً لتكرر المسألة الواحد في كتب عدة، وجمعاً لمسائل الممددة ذات الموضوع التحد في سبق واحد من الكتاب وقد رأينا فيما مضى كيف أسر العلماء أن يحدوا له مذهب أنى حمية وحده في كتاب. ويروى مؤرخوه أنه طلب إلى العلماء أن يجمعوا له

كتاباً كبيراً جامعاً في اللمة ، يشمل ما في كتاب المصالح للذهري ويضافه إليه ما طالت المصالح من التهذيب للأزهري ، والجمهرة لابن دريد ، وغيرها . ولست أدري أحق العلماء له فكره ، أم حل موهبة السكر دون تحقيقها ، وإن كان ابن مكرم قد حققها بعد ذلك في كتابه لسان العرب ، ولست أدري مدى اطلاع ابن مكرم بمسكرة المعظم عيسى .

وطالب المعظم إلى العلماء أيضاً أن يرشوا له مسند أحمد بن حنبل على الأبواب ، ويردوا كل حديث إلى الباب الذي ينتمي به ، ويجمع أحاديث الطهارة في باب واحد ، وكذلك يفعل في الصلاة وغيرها من الرقائق والزمير والعرواق . فيكون كتاباً جامعاً .

ومسكرة المعظم في هذا الجمع والتزيب مسكرة جديدة ، في اللمة بجميع المعاني المدونة لا كلمة الواحدة ، مسند أن كانت متداخلة في كتب عدة ، وفي ذلك تفسير للكشف أمام الباحث ، ومحاولة لجمع كل اللمة ومعاني هذه الكلمات ، وفي ترتيب كتب الحديث على هذا الأسبق وضع الأحداث التي تتعلق بالموضوع الواحد ، تحت أطار البحث دومة واحدة ، ليكون فهمه الميسر الذي يريد بحثها أشمل ، ودراسته لها أكل وأعمق . وفي ذلك تمهيد السبيل أمام الباحث ، وتيسير الدرس له بجميع المواد التي به طريق الاستنباط منها ، وإجراء بحوثه عليها .

وزعمه القوة في نشر العلم بين أساءه ، ورد حواراً لمتعوتين فيه ، وأعجب بكتب رآها جامعة لأدبها ، فأحار من يحفظها ، فكاتب حائرة من يحفظ الجامع الكبير مني دسار ، ومن يحفظ الإصحاح في النحو مني دسار ، ومن يحفظ المعقل لم يحنري في النحو أيضاً دسار وحلقة ، وحفظ هذه الكتب جماعة وفي ضم المعظم بما شرطه على نفسه .

وهذا ولا ريب مع صالح ، وطريقة مثلي ، يدفع بها اللوك الصالحون أبناء

شمهم على دراسة العلم والاستفادة من المعارف ، ولا تزال تدفع هذا النهج إلى اليوم ، تشجعة على التعوق والامتياز .

مدارسه

مدام المظلم عيسى مساهمة فعالة في نشر العلم ، بإششاء المدارس المجتامة ، تسييراً لراعيه في أحد العلم ، فما أشاء من المدارس أو أكل إشاءه :

١ - المدرسة المادية ، أسسها لوالده الذي دس فيها سنة ٦١٩ هـ ، وكانت أعظم مدارس الشافعية بدمشق ، بدأ ور الدين بإشائها ، مات قبل أن يتمها ، حاول المادل إتمامها ، وانكسرت مات قبل ذلك ، فأتتها المصم ، وحدها للشافعية ، هو مذهب أبيه ، ووقف عليها أوقافاً داره تحمظ حياتها ، ولا يزال التاريخ يحفظ سجل افتتاحها ، فقد أنشأ فيها الدرس بربها القاضي الفقيه جمال الدين المصري حيث عقد في إيوان المدرسة ، وحضر الدرس أميان الشيوخ والفقهاء ، وحضر المظلم عيسى هـ ذا الحمل ، وحل في يمينه شيخ الجمعية جمال الدين الحصري ، وبلية شيخ الشافعية عمر الدين بن عساكر ، فاقاضي محي الدين بن الشيرازي ، فاقاضي محي الدين بن يحيى الزكي ، وحل عن يسار المصم إلى جاسه مدرس المدرسة ، وصيف الدين الآمدي ، فاقاضي شمس الدين بن سبي الدولة ، فتأخرى المسكر ، وحل قبالة السلطان تقي الدين بن الصلاح ، ودارت حقة كان فيها أميان المدرسين والفقهاء ، وشرع الجماعة يتفقدون ، وقد أحد المظلم نفسه من الفاش ، وتكلم في الدرس مع الجماعة .

وكان المظلم يحضر مع الفقهاء دروس كبار العلماء ، فسد ما عرض تدريس المدرسة البورية الحنفية إلى الشيخ جمال الدين الحمدي يرى حصر المظلم درسه في ثالث ربيع الأول سنة ٦١١ هـ .

وإسّا اليوم لمصوراً لأمستنا هذا العمل الجليل، يضم أعظم علماء دمشق، وقد جلس بينهم ملكهم، كأنه فرد منهم، يأخذ عنهم، ويأخذون عنه، وإن العلم ليملا حواصع هؤلاء العلماء شموراً بالبر والكرامة.

ولم يقتصر العمل على أعان العلماء بحسب، بل اتصل بهذه الحلقة جمهور الناس، حتى ملثوا الإيوان.

وكانت هذه المدرسة مكانة سامية منذ إنشائها، ودرس فيها كبار العلماء، ومالك محمطة بمكانها بعد وفاة المعلم، وفيها عمل ابن حنبل كان تاريخه المشهور: دميّات الأعيان، ودرس بها ابن مالك صاحب الألفية، وزرقل في ابن حلدون في أوائل المائة التاسعة.

٢ — وأشأ المعلم إلى جانب هذه المدرسة اشاعية مدرسة الأرحام سنة ٦٢١ هـ، عرفت من بين الكتب التي كانت يدرس فيها يومئذ كتاب الهداية في وقفة الحامية، وكتاب كافية ابن الحاجب في النحو.

٣ — ولم يثنى المعلم عيسى نادارس في دمشق بحسب، بل أنشأ في القدس مدرسة سنة ٦٠٤ هـ، عني فيها بأن تكون المادة الأساسية التي تدرس بها علم النحو، وأن يكون الكتاب الذي يدرس فيها كتاب سبويه. وكان المعلم من الموالين بالهقه والنحو، كما سبق أن ذكرنا.

٤ — وفي بيت القدس أيضاً، وعلى روح باب لرحمة فيه، كانت مدرسة تعرف بالعمرية، نسبة لأحد روحانها: الشيخ نصر القدسي، ثم عرفت بالقرائية، نسبة لأبي حامد المراني، الذي اعتكف فيها، ونقل: إنه أتم فيها تأليف كتابه: إحياء العلوم؛ ويظهر أن استخراج قد مال هذه المدرسة، فأعاد إنشاءها المعلم عيسى سنة ٦١٠ هـ، ويبدو أنها كانت صغيرة، فجعلها راوية لقراءة القرآن،

والاشتغال بالبحوث وحملها حزمة كتب ووهبها عليها ، ليسهل اطلالها الرجوع إلى كتب دروسهم .

• - وبقيت قبة بالمسجد الأقصى ، وقف عليها وهدأ قليلا ، على أن يدرس في تلك القبة الفقه والقراءات السبع ، وشروط الأتعرف من ووهبها شيء لغير الجمعية ، وولى تدريسها أحد الامدة استاده . فاح الدين الكندي ، وهو شمس الدين بن رويس الذي كان حاضرا للقراءات العشر وطرقها .

وقد اقتدى به في إنشاء المدارس زوجه وابنته ، فأنشأت الأولى ، وكانت تدعى عريضة الدين حاتون ، مدرسة بدمشق للجمعية ، وأنشأت الثانية مدرسة للجمعية ، بدمشق أيضا .

• • •

نحن إذا أمام ملك عالم شرف بالبحث والقراءة ، لا يدعها حتى في أحرع الأوقات التي صرفت في الحياة ، وسامح مسامحة فداء في الإنتاج العلمي ، تألف كتابا في حيا إلى اليوم ، ودل على اطلاع واسع ، وثقافة متنوعة ، وألف له حاشية من كبار علماء عصره ، أحمدهم حلساه وهداه ، يباحثهم ، ويافقهم ، ويأخذ عنهم ، ويأخذون عنه ، وكان يحدده وشرعا أن يأخذ كتابه بيمينه ، ويعضى إلى حلقة استاذة ماشيا ، ويجلس بين يدي المدرس ، مع الطلبة ، لا يغيره عنهم إمارة ولا ملك .

يسط حايته على العلماء ، فأولوا عليه من كل حدب ، ووجدوا في ظله حياة وادعة واردة ، سددوا فيها ببطاء غزير دار . وقد رسم لهم بعض مناهج التأليف ليذلل سبل العلم لراعيه ، ولييسر السبل أمام الباحثين ، وعمل على نشر العلم بكل ما في يده من الوسائل ، فأثاب الطلبة المجددين ، وكافأهم على جدهم بالمال ، وأنشأ المدارس وشجع على إنشائها ، وشارك في افتتاحها ، مساهما في نشاطها .

حياته السياسية

عاش المظلم حل حياته بالشام ، وكان والده يمدّه ليكون حاكماً على إحدى ولايات الإمبراطورية الأيوبية الواسعة ، في كنف عمه صلاح الدين وأساء عمه ، كما كاد يقارب الخامسة عشرة حتى أوحى إليه والده المادل — وقد مات صلاح الدين ، وقام بعده ولده العزيز — أن يدخل على العزيز ، ويقتل يده ، ويطلب منه دمشق ، فذهبها إليه العزيز ، وأعطاه مستحقاته ، فتدرب منذ الصغر على الولاية والحكم ، ولما حدث الخلاف بين أساء صلاح الدين ، وذهبت ريجهم ، آل إرث الامبراطورية الصلاحية إلى الملك السياسي القاهرة المادل أبي بكر بن أيوب ، فعزم على أن يرقن إليه تمريراً عملياً على الحكم ، وأن يكون هو لهم بمثابة القائد المذنب المرنج ، فتم المدا بين أسائه ، حمل الشرق لاسه الأشرف موسى ، والشام لاسه المظلم عيسى ، ومصر لاسه الكامل محمد ، ودرعا يكون قد أراد بهذا التقسيم أن يجعل كل من أولاده ، مستعزاً في ولايته لا يطمع في ملك أخيه ، فاما لما نحت يده ، حتى لا يشكر تأسيساً أبناء أخيه ، وكانت اسماءه المادل لاسه في دمشق سنة ٥٩٧ هـ ، (١٢٠٠ م) ، وحل ناشأ من أبيه في دمشق حتى مات المادل سنة ٦١٥ هـ (١٢١٦ م) ، وأبوه في هذه المدة الطويلة يرقبهم به في الحكم ، ويقيمهم مقامه في قيادة الجيوش ، وإذا أراد إصلاح خطأ وقع فيه ، قوّمه بأفضل الطرق وأبيها . فمما رلت الفرج على دمياط سنة ٦١٥ هـ ، مات المادل بامساكر التي كانت معه إلى ولده الكامل عيسى ، وأقام المظلم بالساحل ، ومعه عمكر الشام ، ليكون في مقالة الفرج ، حتى يشاءهم عن دمياط . ولما بسى على الطور ، وهو حل بطل على طرية الأردن ، قلعة حصنة ، وأبق عليها أموالاً ضخمة ، لم يرق المادل إقامتها ، ورأى فيها خطراً على البلاد ،

حقول لاسه : قد بيت هذا الطور ، وهو يكون سفياً لحراب الشام ، وقد سلم الله من كان فيه من أبطال المسلمين ، وسلاح الدنيا والذخائر ، وأرى من الصلحة حراة ؛ يتوفر من فيه من أبطال المسلمين والممدد على حوط دمياط ، وأنا أعموشك عنه . ولكن عر على المظم أن يحرب هذه الحصن ، وعب في دونه على أبيه ، وطل أياماً لا يدخل إليه ، فبعث إليه أبوه العادل نائياً ، وأرساء مائل ، فرمى المظم ، وقل من الحصن ما كان فيه ، وأمر بحرب القامة ، فعد ما رأى الفرمج حارجين يريدون بيت المقدس .

ولما مات أبوه استنزل بحكم الدلا ، وكاتب ملكه نفع بن حمص وعمرش مصر . يدخل في ذلك بلاد الساحل الإلامية منها ، وبلاد النور ، وقلاطين ، والقدس ، والكرك ، والشوك ، ومصر حد ، وغير ذلك . وكان معه جنوداً ، على ترهم وتدريبهم ، ورأى أن "عليل مع المدرس" أصل من كثير لا سالون سطهم من العاية وحسن التعميم ، ثم رد حده على أربعة آلاف فارس . ودخل المظم محاصراً على السلات الطاية التي ترطه بهداد ، وكان يرى فيها الأم الروحية ، التي لا يلبق تراعها ولا ملها ، وإن كان يرى أنها لا تساعد أحداً ولا تنجده ، كما سعى في سير الحوادث . وكانت بهداد تحب أن تنق على صاتها يملوك بني أيوب ، فكانت ترسل إليهم الخلع من حين وآخر ، والبرك يستقلون هذه الخلع ، ويدسونها في اتهاج وإحلال . ولما هم روع في ذلك فنبأ انوائهم عروهم في قلوب رعايهم الذين ورتوا إحلال الخدعة وتمطيمه .

أما صدقه بأحويه فقد تداولها الصماء والكدر ، خيما بلس الحب يتجلى في تصرفاته مع أخيه الكامل ، مصحوماً بالإحلال . روى أنه رعب في لقاء أخيه ، فترك دمشق إلى الإسكندرية ، حتى وصل إليها في ثمانية أيام ، خرج الكامل إليه وانتقاء ، فترحلا واعتقفا ، وركب الكامل ، وبني المظم وأهوا ، فقال له الكامل

باسم الله ، اركب ؛ فأشار إلى العرس الذي كان تحته وأشد :

وإذا الملقى لنا بلعن محمداً وظهوره في الرجال حرام

فأطرب ذلك الكامل وسراً .

كما ذكر مؤرخوه أيضاً أنه كان يحطب للكامل على منابر ملاده ، وكأنه بذلك يعرف لأخيه الأكر بازعامة بني الأسرة كاهه . فلم يكن في عاتق الأوغاب يدكر اسمه على المنابر مع اسم أخيه .

وكان المعظم فعل كبير ، في إيقاد العرش لأخيه الكامل . ذلك أنه « لا وصل العرعخ إلى دمياط ، كان الملك الكامل في « دأ استملاله بالسلطنة . وكان عنده جماعة كثيرة من أكابر الأصهار ، منهم عماد الدين أحمد بن المشطوب ، فاتفقوا مع أخيه الملك المنصور إبراهيم بن الملك الناصر ، وأصدوا إليه ، فظهر بذلك « الكامل منهم أمور تدل على أنهم عارمون على بعض الملك إليسه ، وحطم الكامل ، واشهر ذلك بين الناس ، وكان الملك الكامل يداريهم لتكونه في قتالة العدو ، ولا يمكنه المناطرة والمناورة ، ولم ير على ذلك حتى وصل إليه أخوه الملك المعظم « سي . يوم الخميس التاسع عشر من سنة خمس عشرة وسبعمائة ، فأطلعه الكامل في الساطع على صورة الحال ، وأن دعيم هذه الطائفة ابن المشطوب ، فجاء يوماً على عملة في حبيته ، واستدعاه ، فخرج إليه ، فقال له : « أريد أن أتحدث معك سرّاً في حلوة ؟ فركب ابن المشطوب دونه ، وسار معه ، وقد حرد المعظم جماعة ممن يعتمد عليهم ويثق بهم ، وقال لهم انصوبوا . ولم ير الملك المعظم يشغل بالحديث ، ويخرج منه من شيء إلى شيء . حتى أبداه عن الخيم ، ثم قال له : يا عماد الدين ، هذه البلاد لك ، وبشئني أن تنهبها لنا . ثم أعطاه شيئاً من الدعة ، وقال لأولئك المجردين تسلموه . حتى تخرجوه من الرمل ، فلم يسمه إلا الامتثال ، لا بمراده ، وعدم القدرة على المعاصرة في تلك الحال ، ثم عاد المعظم إلى أخيه الملك الكامل ،

وعرفته صورة ما جرى ، ثم همر أخاه الملك المنصور المذكور إلى الموصل ، لإسعاد
المنجدة منها ، ومن بلاد الشرق ، ثبات سمعاً ، وكان ذلك خدمة لإجراجه
من البلاد ، فلما خرج هذان الشحصان من المعسكر ، تحملت غرائم من بقى من
الأمراء الواقفين لهما ، ودخلوا في طاعة الملك الكامل .

وهكذا استطاع أن يقعد العرش لأخيه الكامل ، من مؤامره كادت ودى
به ، كما كان له أثر فعال في إيقاد العرش ، بل يقاد مصر والعالم الإسلامي بموقعه
في معركة دمياط ، سنتين فيما على .

ولست أدري الأسباب التي أثرت الخوف بين الإخوة ، رغم أن العادل ،
بتقسيمه الإمبراطورية فيما بينهم ، كان يعنى أن يؤسس صلة بعضهم ببعض على
المودة والحب ، وقد أثمر ذلك وحدتهم أمام دمياط فالتصروا ، ولكني أرحم أن
سبب ذلك يعود إلى طمع كل واحد في يد صاحبه ، وأهل الكامل صاحب مصر كان
يعنى أن يستطع سلطاناً على الشام ، وأن يأخذه من أخيه المعظم ، ويدعما
على ذلك أن الكامل لم يلبث بعد وفاة أخيه أن تحرك إلى الشام وأخذه من
ابن المعظم : المنصور داود ، ورغم أن الكامل يرى نفسه إوارث الشرعي
لإمبراطورية العادل كلها ، وكان المعظم يحذر أخاه أن تمتد أطماعه إلى أن يتحرك ،
فيأخذ ما تحت يد المعظم ، ويكتب إليه مهدداً إذا أسكر منه حالته : لئن لم تنته
لأخذك عن ممك . ويقول ابن واصل مؤرخ الأيوبيين : إن الكامل لم يستطع
أن يهاجم الشام إلا بعد وفاة المعظم ، وكان يظن أنه إن خرج إلى الشام يحصد
عسكره أو معظمهم إلى المعظم ، وحبل بينه وبين الدبار المصرية ، لما كان توجهه
من قبل عسكر مصر إليه ، ومحنتهم له ، علماً منهم بقيامه بأمر الجند ،
وعنايته بهم .

وبما يرجح أن سبب النزاع يعود إلى الطمع ما يرديه التاريخ من أن الملك

أمنس بن الملك ، كامل قدم من ، الحق عارفاً أن يأخذ الشاب من عمه العظيم عيسى سنة ٦٦٩ هـ .

كما كان العظيم عيسى نعم إليه بعض مملوكه أخيه الأشرف سعد ، وبخاصة بعض بلاده حيث آخر ، وأما كان يعمل ذلك اعتماداً من الأشرف الذي كان يؤيد الكامل ، وعلى صلة وثيقة . وهكذا استتب الخلاف بين الإخوة ، وكان له أثر سيئ في التاريخ ، وسعدا العظيم يستعين بالأطباء ، أعداء اختلافه السياسية على أخويه ، ويساعد من يخرج في ساعته مسا . روى أبو رجون أن الأشرف مضى إلى مصر ، واستتب على مملكته أخاه شهاب الدين عارفاً ، فسولت له نفسه الصانع ، وأمر العظيم هذه الفرصة ، فربح له عمله ، وكانه وأما ، وإب لم يثمر هذا المصير ، بل استطاع الأشرف أن يسترد مملكته مدعونه من مصر .

ويظهر أن العظيم قد امتنع من مصر أخويه معه . ثم في طلب الخليفة ، ووجهه في السلطنة خلال الدين من حواريه تمام حاكم أذربيجان ، الذي أراد أن يملك بلاد ، وأن يأخذها من المديرة السياسية التي مرّ لها في ، فاستدعى العظيم عيسى ، ليعينه على قتال أخيه الأشرف ، ولم يرض هذه الجماعة في عينه ، فاستدعى ، فأرسلت رسولا من دنيا ، بحملة إلى الملك العظيم : إخوة ، يحملون القليل العظيم ، تطلب منه أن يصرف عن موالاته خلال الدين ، بروى سط ابن الخوري ما دار بين العظيم والرسول ، وكان حل سط ابن الخوري قال قال لي الملك العظيم قال طالك . أصبحت رجوعك عن هذا الدار حتى ، (يعني خلال الدين الحواري) وترجع إلى إخوتك ، ووضح بيكم ، قل : فقلت خاتك . إدارحت عن ابن الحواري ، وصدني . حواري تجدوني ؟ قل لم . قلت : ما لكم عادة تجدون أهدأ أهده كتب الجامعة الناصر لدين الله عدداً ، ونحن على دسائط ، نكتب وتستصرح به ، فيجىء الخواص ، ثانياً قد كتبنا إلى ملوك الجزيرة ولم يعملوا

قال : قلت : متى معكم كمثل رجل كان يروح إلى الصلاة ، ويديه مكار ، خوفاً من الكلال ، فقال له بعض أصدقائه : أبا شيخ كبير ، وهذا المكار يثقلك ، وأنا أدلك على شيء يزيلك عن هذه الحال ، وما هو ؟ قال : اقرأ سورة يس ، عند خروجك من الدار ، وما يقرأ لك كمال وأدام مده ، فرأى الشيخ حامل المكار ، فقال له : أما قد سمعت ما به يك عن هذه ؟ فقال : هذا المكار اكمل لا يعرف أمر آل . وقد أوصى إخواني على ، وقد أوصى ابن الخوارزمي على حلاط ، إن صدقني أحق لأثره معه ، وإن صدقني أحق الكمال ، فأبانا له .

والقصة واضحة الدلالة على ما وصل إليه اختلاف بين الإخوان ، وعلى مدى ما وصلت إليه الخلافات العنصرية . من غيرها عن أن تعد يد المولى إلى أمصارها . ورغم ذلك المذهب في الخلافات العنصرية ، والتجارب بين المظلم والخوارزمي ، لم يرض المظلم أن من حليته عن الخليفة ، قال المظلم عيسى : كتب إلى حلال الدين يقول : محضر أبا من عهدي ، فتمشي ، حتى تقعد الخليفة ، فإنه كان السب في هلاك المسلمين ، وفي عي الكفار إلى الملاد . قل المظلم : مكتوب إليه . أما معك على كل أحد ، إلا على الخليفة ، فإنه أمام المسلمين .

وقد رأى الأثر ، أن لا أمل له لقاء الخوارزمي ، فقدم إلى دمشق ، وأصاح المظلم ، وسأله أن يسأل الخوارزمي الرحيل عن حلاط ، وحصل له جناح توصيه ، فأثابته بمن سماه كاك ، وبأنت الشمر عن ربه وسما بلا أنت ، سمعت المظلم إلى الخوارزمي ، فرحل عن حلاط ، بعد أن أقام عليها أربعين يوماً .

وأما الكامل فقد خاف من انتهاء المظلم إلى الخوارزمي ، ومن مساقفته في هذا الانهيار ، حتى لقد وعده أن يحط به ، وبصرف السكة باسمه ، فأرسل إليه الخوارزمي حامية أسبها ، وشق بها دمشق ، وقطع الحامية بذلك الكامل ، الذي عزم على حرب أخيه ، وخرج بمساكره من القاهرة ، ولكنه لم يلبث أن عاد .

ويقال : إن المعظم أرسل إليه رسالتين : إحداهما سرية ، يقول فيها : إني نذرت لله تعالى أن كل مرحلة ترحلها أقصدى ، أصدق تألف دينار ، فإن جميع عسكري معى ، وكتهم عدى ، وأما آخذك عسكري . أما الرسالة التي كتبها ليقراها الكامل علامة فيها : إني مملوكك ، وما خرجت عن محنتك وطاعتك ، وحاشاك أن تخرج وتقاتلنى . وأنا أول من أحمذك ، وحضر إلى خدمتك ، من جميع ملوك الشام والفرس . فأضهر الكامل هذا بين الأسماء ، وعاد إلى القاهرة ، وقص على عدة من الأسماء . منهما إمام بمكة المعظم .

وأما المعظم كان يريد أن يتجنب الحرب مع أخيه بكل وسيلة ، وكتب إليه عدة الرسائل فطاهره ليحدها الكامل - بدأ أراد درمة للمودة والكف عن القتال ، وفي بيروت رسالة منه تهدده وتوعده في رسالة سرية

وكان له - هذا الرابع أسوأ الأثر ، فقد استعمله أعظم السلال الإمبراطور هرذ باشا الثاني ، وأما تصح أن يحصل من الكامل بعد أن كتب هذه الوحدة بين الأوبى ، لأن الوحدة التي تحطم على سجنها جوع الصليبيين ، فارتدوا على أعقابهم ، وأمكن دمياط مهيمن شريفة . استطاع أن يحصل على المعاهدة ، استطاع المسلمون أمر رابع ، ووجدوا لها من الأثم ، ووهن ما لا يمكن وضعه ، وعقدتها بل الكامل عن بيت القدس المزعج ، وسكون القرى التي بين عكا ودهاق ، وسلا والقدس بأيدي المزعج ، وهكذا أصابع الرابع والضعف كل ما استطاع صلاح الدين أن يسترده من أيدي الصليبيين ، وبذل في سبيل استرداده الكثير من الجهود والدماء ، واحتاج لأمر إلى أن يبدل المسلمون جهوداً جديدة شاقة مجتهد ، يستحقون بها ما كان في أيديهم ففعلوا فيه ، واستطاع الإمبراطور أن يتفقد المعاهدة ، وساعده على تسليم بيت القدس أن المعظم كان قد مات . قال المؤرخون : لو أن المعظم كان حياً ما استطاع المزعج أن يتسلطوا بيت القدس ، كما

أنه على يد امه الناصر داود استرد بيت القدس ، وعاد إلى حظيرة الإسلام .

من المعلوم في هذه الذكبة التي حلت بالمسلمين يومئذ ؟

لا يستطيع أن أحل من اللوم واحداً من الإخوة الذين سمحوا بالطامع أن
تفرق كلهم ، وهدت قلوبهم ، وتوهن من جهودهم ، وإن كان خطا الكامل من
اللوم أكثر من خطا أخوه ، فهو كبيرهم ، وكان هو مصدر الطمع على ما يظهر ،
وكان يريد أن يسيطر سيطرة فعلية على الشام ، ولم يلبث العظم أن مات حتى بدا
الكامل يحقق سياسته .

علاقۃ بالفرنج

لم تكن رنج - وديا بعد وفاة صلاح الدين في حالة تجمع لهم شئ محتر
ية ، بن حاكم المدن الساحلية الى ترك للفرح ، يقتضي صلاح الدولة ، والماقب
علا ك افس كان من المذهب بحيث لا يستطیع الماصرة في عا طره جديدة ،
وكان فاعلاً نأش بحكم مده ، وراعى شروط الهدنة التي حددتها المرير عند صعوده
على عرش مصر ، وكان أمير انطاكية وطرابلس مشمولاً شمولاً دائماً بحفظ إمارته
من جاره حاكم أرمينية .

وَأَكْبَنُ الدَّامَاسِيِّينَ اثْنَاثَ لِمَا عَلِمَ بِوَفَاةِ مَسْلُوحِ الدِّينِ ، وَأَقْسَامُ إِسْرَاطُورِيَتِهِ
بَيْنَ أَسْرَتِهِ ، وَاسْتِقْلَالِ كُلِّ مَنَّهُمْ بِنَفْسِهِ ، أَرَادَ أَنْتَهَازَ نَفْثِ الْفَرَسَةِ ، وَدَعَا إِلَى حَرْبِ
صَاحِبِيَّةِ جَدِيدَةٍ ، لِإِقْلَادِ بَيْتِ الْقُدْسِ -

لم . تنحب إلى نداء الماسوي إمبراطور الماسهري السادس ، الذي جمع
حيثاً وأصولاً ، لم يحقق شيئاً من أهداف الصابيين ، وعاد من حيث أتى .

دعاه المانيا ياؤست الثالث الى حرب نوحه همها قوى العليين الى
استخلاص بيت المقدس ، واستجاب لها با ملك السماء ، وكثير من أمراء المانيا

واحتل حيش عدة سنين وحسون الفأ أكثرهم من الآلان ، ورلوا بمكاسمة
 ٦١٤ هـ ، وصلى الصليبيون من عكا ، سيمون اللاد ، وبأسرون ، ثم مودون
 إلى مدينتهم ، من غير أن يحدث بينهم وبين المادل معاراة خاصة ، فإنه قد تحبب
 انقائهم ، وكان في ذلك من الحد ، أن باقى عسكره دمعرو في اللاد ، وكان المادل
 حازما كثير الخدر ، فخاف أن يسبزم بدا النفي بهم ، ومضى إلى دمشق ،
 وأرسل في طلب الحد من أحزاء إمبراطوريته ، في حين ظل الصليبيون يعيشون
 في الأرض مسادا ، وقبورهم من فلاح الساحل ، ورأى الصليبيون أن أفضل
 طريق للتمكك على عدوهم ، هو صرته و مكان ديوى منه ، وكانت مصر ذلك المكان
 الحيوى المختار ، فإن روى الصليبيون بأسطول وأمداد جديدة ، حتى وجدوا
 في أنفسهم الشجاعة للارول على دمياط في صفر سنة ٦١٥ هـ ، وهم نحو سبعمائة
 ألف فارس وأربعمائة راجل .

كانت مدة دمياط محصنة تحصينا قويا ، ومحصلا عن الرابا التي مسحتها إياها
 الطبيعة ، جعلتها في جزيرة يحيط بها الماء من الشرق والغرب ، الشمال ، على
 ملوكة مصر تحصينها ، ووضع حامية قوية فيها ، مدفع هنبا غارات الفرنج ،
 الذين هاجموا مراراً عدة في عهد صلاح الدين ، وردهم على أعقابهم ، وعنى بأمر
 تفويتها ، وزارها ليتفقد أمرها مع ولده سنة ٥٧٢ هـ ، وكانت إحدى موانئ
 الأسطول الممري في عهد ، وبني الملك المبرر لها سوراً ، وكان لها ربح ضخم
 على النيل ، وأمر من شاطئ البحر في غاية القوة والامتناع ، وبه سلاسل من
 حديد عظام القدر والصلابة ، تغد في النيل لتمنع المراكب الواسلة في البحر الأبيض
 من عبور أرض مصر ، وتغد هذه السلاسل إلى برج آخر حصين مقام في وسط
 النيل . وكأما مشجوعين بالمعائلة والمدد .

نزل الصليبيون بالبحر العربي للنيل ، وجعلوا هدفهم الأول ، لاسيلا ، على البرج

القيام في وسط الليل ، فأقاموا ذلك أراحاً على سلعهم ، ولكن نيران الحامية صرّره محدث السكامل على الش ، حتى ، اشترى رد - هجته لهم لأولى ، ولم استطع الصليبيون إهلاك هذا العرج ، وصنوا كدلاً أربعة أشهر ، جميعها للمرج مراك مصها إلى مصر ، وأقاموا عليها فدية كبيرة ، أسدوها إلى العرج ، وقالوا من فيه ، حتى اضطروهم إلى التنازل ، وكانت الحشرة على هذا العرج كافية موت العادل كدلاً .

لم يشك الملك السكامل ، بل نصب عوض السلاسل حيراً ، امتنع به العرج من سلكه الليل ، رفضوا عليه قد لا شدة أمة أيضاً حتى نظامه ، فأخذ السكامل عدة مراك كبار ، وملاها ، . حرفها ، وغرقها في الليل ، شمت المراك من سبوكة ، ولما رأى العرج ذلك ، وصعدوا حليجاً كان النيل يجري فيه قديماً ، فمروا ذلك الحليج ، وعمقوه ، وأحرقوا الساء منه في البحر ، وجمع وأمسدوا مراكهم فيه ، إلى مكان يقابل المبرة التي فيها الملك السكامل ، وكان قد جمع حيوشه ، ورل إلى جنوب دمياط في مكان لا يزال يعرف باسم العادلية ، وهاجروا السكامل عبر مرة ، ولم تطعروا منه شيء ، وأجمع عنده من الخند ما لا يحصر عدده .

غير أن أمراً حدث غير اتحاد الحرب ، فكان أن مؤامرة دبرت الملك السكامل ، كان يراد بها حله عن العرش ، فاضطر السكامل إلى ترك ميدان الحرب لبلا ، وأصبح الحمد ، ولم يحدوا سلطانهم ، فصلا لا يلون على شيء ، ولم يقدروا على أخذ شيء من خيامهم ودحائرهم ، وأموالهم وأسلحتهم ، إلا اليسير لدى بحف جهه ، وتركوا الباقي محالة من ميرة وسلاح ودواب وغير ذلك ، ولم يزل العرج أحياناً عبروا الليل إلى بر دمياط آمين ، في ٣٠ ذي القعدة سنة ٦١٥ هـ ، وغنصوا ما في عسكر السكامل ، فكان عظيم ما يجر العاديين ، ومضوا إلى دمياط ، وأخذوا

بها ، وحاصروها رأوبجرآ ، وأقاموا عليهم حديفا نوا عليه سوراً ، يجمعهم من
يريدهم من السليبي ، وألحوا على أهل دمياط بالقتال ، ومنعوا عنهم الأذوات ،
فقاتل ، وانتدعلاء الأسار ، وأنهكت الأمراض أهل المدنة ، وانتلأت
الطرق من الأذوات ، وعمدت الأذوات ، وصار السكر في عرقه اليانوت ،
وقدب اللعوم ، ولم يقدر عليها بوحه ، وآأت الناس الحال إلى أن لم يبق
عندهم غير شئ . يسر من القمع والشعر ، ومع هذا صبروا صبراً لم يجمع بمثله
ويدلنا على ما كان يتناهل أهل دمياط من محاور وآلام هذه الرسالة الشعرية إلى
كتبهم أحد أسانهم ، وهو الأمر جمال الدين الكندي ، وألقى بها إلى الملك الكامل
في شهر شباط ، وهي :

يا سلكي ، دد ط نثر هدم	شرافه ، كادت نجت أصوه
بقرك من أركي السلام نحية	كالـك ، طاب دقيقه وحيله
و يقول من دد ، و ذك سامع	حتى كأك حاره وريله :
يا أيها الملك الذي ما بن رى	بين أبوك بيته وعدله
هذا كتاب موصح من إلى	ما ليس يكمي لديك أقوله
أنكو إليك عدو سوء أددت	جميعه فرسانه ، وحيله
فالر دد صمت إليه طريقه	والبحر عمر كنهه أسطوله
فدوءه ياد على أراحه	وحببه ، وكأوه ، وعوله
ولو استقطاع لآم مالك لاإذا	لكنه سدب عديه سيله
فقد انتهت أدراؤه ، ونحكت	علائه ، وبها عليه محوله
و دى له دمن يسر يرنحى	أن يشتى ، لما دناك ، عليه
وحرس حاك سرمة نشق بها	دام لكك يرنحى تعليله
فأله أعذك الكثير عمله	ورصاه من هذا الكثير قبله

فالمدر في نصر الإله ودينه ما ساع عند المسلمين قوله
والنفر باطره إليك عذوق ما إن يمل من السموع هموله
ولئن قدمت عن القيام بنصره جعت صاربه ، وبان دوله
دوهب دوى القرآن فيه ، وورعت صلاداه ، ولى به إحميله
وعلا صدق النافوس في أرجائه وحي على سمع الورى سويله
هذا وحفت وصف صورة حانه حقاً ، وحلته ، ودان نصيله
وكحك باى الأكرمين بأنه أصحى عليك من الورى تمويله
حقق رجاء ديث ، نامن لم يح أبدأ لراحي جوده تأميله
وادحر ليوم الميث وملا صالحا الله ماسن آخره وكميله

واكنه رعم اليهود التي بدلها الكامل في جمع حبشه الميث ، ومهاجة
الصليبيين ، وحرق حصوره ، وبلاى آلات حصاره ، بان المصار مصر وبا على
الدبة ، وبدأ الخوع يعمل عمله في أمدها ، فلم يبق من حاميها التي كان يقدر عددها
بمئتين ألف رجل سوى أربعة آلاف ، بينا كالب لإمدادات توال سكثرة
على الصليبيين

لم يستطع أهل دمياط الخيع المهوكو القوى ، ولا حاميتهم السميفة قتالا ،
فسلمت إلى يد إلى المريح في ٢٧ شعبان سنة ٦١٦ هـ ، ودخل المريح دمياط ،
ووصوا السيف بدون رحمة في بقية الحامية الناسة ، وفي الناس ، حتى إنه لم
يعرف عدد من قتل لكثرتهم ، ومضى الصليبيون يحصون أنفسهم بدمياط ،
ويكلمونها معتلا مبيها ، وأصل المريح يهرعون إليها من كل حذب ، وأصبحت
دار هجرتهم .

كان لسقوط دمياط أثر بالغ في نفس المسلمين ، وحر الإسلام في مرة حرجة ،
صافت لها سدور أهله ، وأعلن الكامل في مصر الجهاد العام ، وكتب إلى جونه

وأقاربه بالشام ، يسجد لهم ، كما أرسل إلى بغداد يسترح بالخليفة العاصم لدين الله ، وكان الخطر عظيماً على المسلمين ، فأقبل الأمراء على معاشرته الكامل ، حتى ليقال : إنه منذ مركة عكا ، في أمام صلاح الدين ، لم تتجد الأسماء الأيوبية في جهة واحدة ، كاتحادها ، أمام خطر الفرنج ، إذ أن أحدوا دمياط ، وكان الكامل قد عسكر على العر الشرف أمام صيدا ، في الرحلة التي عرفت بالمصورة ، واجتمع بها من المسلمين عالم كبير

قال الفرنج بما وصف عام في دمياط ، ساروا من أمهرم بهم ، فلما قدمت عليهم الآراء اذ خرجوا الحرب المسلمين ، وساروا يتقدمون حتى ، وهو أمام المصورة ، ووجدوا الكامل معه عبر مساو القوه الحاربة التي تدار بها الصليبيون لانتلاف مصر ، فأرسل إليهم ، من عندهم أن رد إليهم ، كما كانت المقدس ، وجميع ما فتحة سلاح الدين على أن يردوا إليه دمياط حسب ، ما كنى هذا المرض المعري قوبل بالرفض من المسلمين ، وهارأي المسلمون أنه لا دمن القتال ، واشتربوا من الجيش الإسلامي حاب العدو وجونه ، فضوا د النبل ، فاجتر الماء ، وأصبح معسكر العدو كانه بحيرة ، ووجد الصليبيون أنفسهم في شبه حررة ، يحيط بهم الماء والأعداء ، لا يستطيعون التقدم ولا التقهقر ، وفي ليلة حاولوا الحرب إلى دمياط ، فحال المسلمون بينهم ، وما كوا الطريق الوحيد الذي يمكن أن يسلكه الفرنج إن أرادوا العودة إلى دمياط ، فلما رأى الفرنج ذلك سقط في أيديهم ، ورأوا أنهم قد سلوا ، وحاولوا الزحف والقتال ، ولكنهم رأوا ما أملوه بعيداً ، فأرسلوا إلى الملك الكامل يسألون الآمان لأنفسهم ، وأنهم يسلمون دمياط بمير عوس ، ورأى الملك الكامل إحتشهم ، ورأى غيره من إخوته معاشرتهم ، واحتشأت أصلهم الشنة ، فحاف الملك الكامل : وهو رجل سياهي كآبيه ، إن فعل ذلك ، أن يجتمع من بني منهم بدمياط أن يسلمها ، ويحتاج الحال

إلى مصادرها مده ، فيها كانت ذات أسوار منيمة ، وراى المريح عندما استولوا عليها فى تحصيتها ، ولا يؤمن فى طول محاصرتها أن يمد ملك المريح نخدة لمن يها ، وطالما لثأر من قتل من أكارهم هذا وقد صارت عساكر المسلمين ، وملت من طول الحرب ، فيها مقبلة فى محاربة المريح ثلاث سنين وأشهر ، فتم العلاج ، وتسلم المسلمون دمياط فى يوم الأربعاء ١٩ رجب سنة ٦١٨ هـ .

كان المعظم عيسى أثره فى هذه المركة القوية ، التى كان استيلاء المريح وهب ، ودا انصروا ، حذرا داهما على الإسلام كله . فقد أراد العادل فى أول الأمر أن يشعل المريح ، ويدفعهم إلى الفناء فى حبيب . فمات بالمعظم على الساحل ومعه جند الشام ، ليكون فى مقابلة المريح ، حتى شغلهم عن لاجئ إخوانهم فى دمياط ، ولم يلبث المعظم أن التقى بالمريح ، وقبضهم ، واعتبر عليهم ، وأمر منهم ما شاء ، أخرجهم من دمياط مكنى الأعلام ، وكان ذلك سنة ٦١٥ هـ .

وبمات العادل أسرع إلى أخيه الكامل ، طلب مداه ، عندما استجدت إخوانه أن يصروه ، وكان المعظم أثره فى إبقاء عرش أخيه الكامل ، كما سبق أن ذكرنا ، وهذا بحسب البلازمة ، كانت حذيرة أن ودى بها ، وأن تحطم قواها فى خلاف داخلى ، يدع للمدو الفرصة لاستيلاء البلاد .

ولما سقطت دمياط نكس الكامل والمعظم نكاه مرا ، ثم دال الكامل لأخيه المعظم : قد فات المثلوث ، وحرى المقدر بما هو كائن ، وما فى مقامك هذا ، فائدة ، والصلحة أن يزل إلى الشام ، تشمل حواضر الفرنج ، وتستجلب العساكر من بلاد الشرق . قال السط بن الجورى . فكثب المعظم إلى ، وأنا بدمشق كتابا يحمله ، يقول فى أوله : قد علم الأخ العزيز بأن قد جرى على دمياط ما جرى ، وأريد أن تحرص الناس على الجهاد ، ويصرفهم ما جرى على إخوانهم أهل دمياط ، من الكفرة أهل العماد . قال السط : تجست بجماع دمشق ، وقرأت كتابه

عليهم ، فأجابوا بالسمع والطاعة ، وفاتوا فغثل أمره على حسب الاستطاعة ،
ومضى المعلم إلى الساحل وانتج بعض أولاده من يد الفرنج ، ثم مضى إلى أخيه
الأشرف مطالب منه أن يجد أخاه الكامل محصراً ، قال سيدنا ابن الجوزي :
« كان المعلم أحرص الناس على خلاص دميطة والعراق ، وكان مصافياً لأخيه
الكامل ، وكان الأشرف مقصراً في حق الكامل ، ما يبالي له في الباطن ، فدا
احتدم الساكن على حرار قطع بهم المعلم الفرات ، وسار الأشرف
في آثاره . فاحتدم المعلم . . فقال لي : قد سحبت الأشرف إلى هاهنا ،
وهو كاره ، وكل يوم أعتبه في تأخره ، وهو يتكاسل ، وأخاف من الفرنج أن
يسولوا على مصر . وهو صدقك ، وأنتهى أن تقوم تروح إليه ، فقد
سألني عنك مراراً ، ثم كتب إلى أخيه سبحانه بحطه نحو تبابين سطرا ،
فأخذه ومضت إليه سلمه ، وبلغ الأشرف وصولي ، فخرج من الجيزة ،
وتفانى ، وعاشي على إقطاعي عنه ، وحرى سبي و به وصول ، وقت له السامعون
في صانعة ، وإذا أحد الفرنج الدمار المصرة ما سلكوا إلى حصر موت ، ودعوا آثار
مسكة والديبة ، والشام وأنت تلمب ، قم الساعة وارحل . وسبقته إلى حصن ،
وتفانى المعلم ، وقال : ما عنت المارحة ، ولا أكلت اليوم شيئا ! فقلت : غدا
يصبح أخوك الأشرف محصراً .

ومن ذلك سدوانا جهنم المعلم وحرسه على جمع الكلمة ، وعبرته على
استخلاص دميطة وإيقاد مصر من أيدي الفرنج .

ولما سقطت دميطة به أن الفرنج عارمون على أخذ القدس ، فحرم على
تحريره ، فقد رأى الأمراء أن الشام قد خلا من الحسد ، وأن الفرنج إذا أخذوا
القدس حكموا على الشام جميعه ، فعصى المعلم بحربه ، حتى لا يسقط عسيمة في يد
الفرنج ، وتكرر مأساة فتحه التي وقعت في أول عصر الحروب الصليبية ، فحرت

أسوار المدينة وأبراجها ، وخرج معظم من كان في القدس من الناس ، ولم يبق فيه إلا عدد يسير ، وعمل العظيم ما كان في القدس من الأسلحة وآلات القتال .

ومضى العظيم عيسى مع أخيه الأشرف لبيعة أحياء الكامل ، وانتصر المسلمون على الفرنج ، ودخل الكامل دمياط محذره وأهله ، وكان لثلاث مرة فرج عمت أرجاء العالم الإسلامي .

وانفق أنه لما رحل لفرنج ، اجتمع في ليلة عند ذلك الكامل أحواء : العظيم عيسى والأشرف موسى ، في حلة أسى ، وفتت حاربه ، الأشرف ، مشيدة بجهود صاحبها ، وعتت حاربه الكامل ، بيده بجهود صاحبها كذلك ، ثم هض القاضى لأجل همة الله من محاسن ، فامسى عزمه ، وكان في جانبهم ، وأشد :

جيداً إنه اثنى فتحك لبدا	مبدأ ، وهاماً ، وعرا محذوا
بطل وجه الدهر به يد وثبوه	وأصبح وجه شريكاً بالظلم أسودا
ولا نامى البحر الخصم أعله	نظامه وأصغى بالراك مردها
أقام لهذا الدين من بل عزمه	صقيلاً ، كما سل الخيام عردا
لم تر إلا كل شملو مجدل	نوى هضم ، أو من راه مقيدا
وبادى لسان السكون في الأرض رافها	عقيره في الخدقين وشهدا
أعبر يد عيسى ، إن عسى وحزه	وموسى جيهة سمعان محمدا

وسجل الشمره دور ذلك العظيم في هذه الحلة ، وأشادوا به ، كما ستحدث عن ذلك فيما يلى . وكان العظيم يذكر هذه المعركة ، ويرجو أن يبال عليها حردل الثواب من الله يوم اللقاء ، « كان يقول : لى عدا الله تعالى فى أمر دمياط ما أرجو أن يرجنى به .

ولم يتصل العظيم عيسى بالفرنج في معركة دمياط حسب ، بل هزمهم على

القيمون ، وهو حصن قرب الرملة من أعمال فلسطين . ولما شاع عزم العرّيح على أخذ باب المقدس حوزة أوجه العادل بظلمته من الحشد إلى نابلس ، كي يحول بين العرّيح وأخذ المقدس .

وكان اسم الالة تيمداد إلاّ أن العرّيح ، برسل عليهم حواسبه ، ليستوه بأحبارهم ، قال : « طاس احوري » . كان في أيام المنتج مع العرّيح يوسف النيران على الحمال من باب نابلس إلى عكا ، وعلى عكا رجل قريب منها يدعى : الكرملي ، كان عليه المودون ، ويوسف من الحواسب علامات ، وكان له في عكا أصحاب أحبار ، وأكثرتهم مساة اخيه له ، فكانت يدقونهم في مسألة الكرملي ، وإذا عزم العرّيح على المارة فتحت الأبواب الثلاثة ، فإن كان يخرج مائة فارس أو قدرت المائة شعبة واحدة ، فإن كانوا مائتين شعبة ، وإن كانوا يريدون قصد حوران أو حمة دمشق أو إلى بلاد الساجية ، وحسبوا إلى نابلس ، وكان قد صيغ على العرّيح الطريق ، وكان يطلى النساء والحواسب في كل فتح حمة كثيرة ، هرب له في بعض الأيام . هذا إبراهيم في روت الأول ، وقال : « أما أمدى المسدس ناشى النسر ، وأحمد الطاهر بالحمر » وردى عن والى الشوبك أنه قال : « كعب واليا ناشوك ، وكان بهاراهب مسردى ، من الحمال ، فحافى كتاب المظلم بنويه ، وميته ، فمات سنة ، وحافى كتاب المظلم ، يقول : أعدده إلى مكانه ، وتوص به ، فحدث عن قصته » وإذا به قد نثرت به إلى الدهر وكشف به أحبار (الأنور) على وجهها . إنما بقاه حتى لا يتهم ، وأطلق له أرضا يعيش منها ، وأعطاه مائة دينار .

وكان سبلا لاسي للعرّيح ، قدم عليه سنة أربع وعشرين وسبائة رسول الامراء اور فردريك الذى طالب منه البلاد التى كان قد فتحها معه صلاح الدين ، فأعطاه فى القول ، وقال : « على لصاحك ما أنا مثلى امر ، ما له عدى إلا السيف »

والعظم «معد» المير هذا أجد الملك الكامل الذي عهد مع هذا الامبراطور
نعمه معاهدة سلم له عهداها مدينة القدس ، وكان لهذه المعاهدة
أثرها السيء في المسلمين ، ومات العظم قبل أن يدخل الامبراطور إلى بيت المقدس ،
ولو أنه عاش لم يكن لامبراطور عهد صحيح في أحد بيت القدس ، يعني أن
الملك العظم هو الذي أسرد القدس كما سرى .

ومن ذلك عيّن أن أهم ما أبلّ به «عظم» الحس هو معركة دمياط ،
وكان لها أثرها البالغ في الشعر الذي «دح به» وحيد دكره .

أخلاقه

كانت ديمقراطية الملك العظم من أكثر ما استقرعى أئمة معاصره ومؤرخيه ،
قد راعهم أن يثنى في الأسواق وأطرق لا يمدحه «طاهر» الطان ، ولا أية
الملك ، وأن يروى بيت المقدس في الجامع لأتسى يراجه رجل والنساء والعلماء ،
ولا يردم أحد عنه ، وقد نشأ مدحه حتى هذه الديمقراطية رأياها يسمى إلى
أساتذته ، ويحس مع الطلبة بين أيديهم ، وقرأ كتابه إلى سبط ابن الخوزي
يدعوه فيه فالأح . وشاعت ديمقراطية العظم بين الناس ، حتى صرنا به المثل
فيها ، ومدحوه بها ، وراوه مثلا وحده بين أساء أسرته والواقع أن شخصية
العظم المستهينة كان لها من الاعتداد بالقدس ، ما دونه إلى أن اعتنق ما يراه صوابا ،
وإن حالف تقاليد أسرته ، فحتمار مذهب أبي حنيفة ، ولم تكن في أسرته حنفي
سواه ، وشجع دراسة الهندسة ، ولم تكن من إخوانه مشجع لها ، مما يدل على
شخصية مستقلة ، تتبع ما تراه ، ولا تنقاد

ومما سجله له مؤرخوه ، ويتصل بشديد الانفعال بهذه الديمقراطية تواصله ،
وحفظه لودة صحبه وأصدقائه ، وفي قصة زيارته لآل عيّن عندما أرسل إليه يبحره

بمرسه واحتياجه إلى المال ما يدل على هذه الفهم أعظم . لاله ، وقد روت ذلك
فيها مضي .

كما تشمل بذلك أيضا حسن عشرته ، وروية مهادنته ، حتى ليعدل واقعاً ،
بعد أن انتهى تأخيه الكبر الكامل محمد ، كان ذلك نوعاً من التأدب من مرسه
الكامل محمد واتهج له .

وكان تأثير الوعظ وبرى قلبه به ، حتى اتعب من عيبه بالسكاه ، قل سبط
ابن الجوري : كان يحضر محاسن ، جامع دمشق ، والقدس ، وسكر إلى الجامع ، فقدم
عند المنبر الذي عدت الشهد بين الأمة ، فلما رجع من الحج في سنة ٦١١ هـ ،
حضر محاسن بجامع دمشق ، فأشد دمهياً ، حتى رحمه الله ، يقول فيها :

سلام على النار التي لا رورها على أن هذا العذاب فيها أسيرها

من أبيات ، ولما فرغ من قصيدة كي ، وراد بكوثه ، تحت عليه ، لا يتسع
بين الناس ، قلت : لا إله إلا الله ، والله في رسالته ، وسهره الليالي في جهاد
أعدائه .

وكان شجاعاً ، هرم المرح عمر مره ، وحرب مدناً لهم وحصوناً كثيرة
في الساحل ، وجمع إلى هذه الشجاعة تحملاً في أثناء العدو ، ومقدرة على تعبته
الجيش وتنظيمها ، وعناية بأمر الحمد ، واهتماماً بشؤونهم ، حتى برأ إخوانه في ذلك
كله ، وكان أعظمهم مهارة ومقدرة .

بيت في الأمور مرعاً ، وتحيل ما يترضه من الصواب ، حتى يغفل عليه ،
في سرعة ومهارة منا ، وقصته مع ابن المشطوب التي رويناها فيما مضى مثال صدق ،
يدل على أنه معروف بهذه الصفة ، حتى استجد به أخوه عند ما قدم إليه ، فأوحى
إليه خاطر بالحل السريع الموفق ، ولم يزل أن يعذه ، فاعتد أحاه ، وانغمصم والإسلام .

وأكسبه ذلك رعم ديمقراطيته هيبه ، بثمرها حلاؤه ، وتنعيمهم إلى
إجلاله وحمه ميا .

أما صلته بشعبه ، فيبدو أنه كان رفيقاً برعيته ، محسناً إليهم ، ويأل على ذلك
ما هو ل به ساً وطاه من هلع وحرع ، فقد جرى على الرعية في وفاته ما لم يمر عند
موت أحد من الملوك ، وشارك في السكاء عليه ساء الشعب ورجاله ، وقد ظل
الجميع يتكلم في الليل والنهار ، ولا يكون ذلك إلا بإداسر الشعب بحساره عذابه
التي .

ويظهر أنه كان مولماً بأسيرة ، ومصللاً عن المدارس التي أديتها ، وسبق
أن تحدثنا عنها ، عن طريق الحاج ، فهدى مواضع كانت وعرة كثيرة السوان ،
وفي في مدان حمامين للرجال والنساء ، وروع طريق الحجر من باب الحايبة إلى
مكة ، وردم البرك وعمر المساحد ، ووحد الحج في ذلك رفقاً ، قالوا : لو عاش
لسار الناس إلى مكة من غير دليل . وفي دمشق سى . ورها ، وسماها .

ومن مظاهر ندمه حجه إلى الحرمين بدمه ، وإغاثة غيره على الحج ، وتوفده
من صياح بالساحل على الحاج ، وتبشيره البيرة لهم في طرق حجهم . وحرصه على
الصلاة إلى آخر أيام حياته .

وبكاد مؤرجوه بمحمدون على وصمه بالتدين ، ولم أر مؤرجوا عمر ندمته إلا ما رآه
مهم من أنه كان في شسائه متصرفاً إلى اللهو ، ونشك في هذا الزعم ، وتؤيد
شكنا فيه ، ما أثبتته للؤرجون من عبايته السكره بالعلم ، واتحاده دابة من صعوة
معكرى عصره ، مما يرجح لدينا بده صد الصا عن ملاهي الشباب الآتية . ولم
تأجد عليه مؤرج ما يحجب عليه . بعد أن أقيمت إليه مقاليد الحكم ، اللهم إلا حبه
لشرب السيد ، ومع حبه له أراد أن يصنع بإحاطة شره باسم الدين ، فطلب من
بعض علماء دمشق أن يعنى بإحاطة السيد ، فأبى . وإن كما لا نفر الأعظم على معاماته
لهذا الرجل الذي أبى الإفتاء فقد عرله من معصيه

وكان حبه للنفيس ، وتجربته بت المقدس سببا في إثارة الشكر ضده ، ودمه إياه ،
 وقد كان القدس مهوى أفضة الملحين ، والحدب الذي يقصدون إليه من ردم
 الصليبيين عن بلادهم . ومما نرى لما من هذا الشعر الذي صحا المعظم قول بعضهم :
 في رحب حبل الحيا وأحرب القدس في الحرم

وفي هذا البيت مناساة ، لأن المعظم لم يحلل حجر ، ومما أباح لنفسه شرب
 العبد ، وفي شرب العبد خلاف بين الشافعي وأبي حنيفة ، فسما يحرمه الأول ،
 إذا بالثاني يبيح شربه .

وقال عبد الله بن محمد بن عبد الله في حراب القدس :

صبرت على القدس الشريف مسلما على ما نسى من روع كأنهم
 عصمت دموع العبي من مساة على ما مضى من عصرا المتقدم
 قلت له : شئت بيمينك ، حارسا لغير ، أو سائل ، أو مسلم
 ولو كان بعدى بالهوس فدينه بدمي ، وهذا الوطن في كل مسلم

وهو شعر باق بالقيمة على تصرف المعظم . وكان المعظم مطلوما هذا الحجاب ،
 فإنه لم يحرب بت المقدس رعة في هذا التحريب ولا حبا له ، وإن كان دعت إليه
 الضرورة دعتا ، فقد حاب أن يخط بحسب في أيدي الفرنج ، ويجد المسلمون عنتا
 من غلبتهم المدة ، ويكون ذلك نهيدا لاسيلا المدو على الشام كله . ولم يمد
 المعظم على تجربته بلا بعد أن احتمت كلمة الأمراء على هذا التحريب .

ولا ينبغي أن يحتم هذا العمل إلا بعد ذكر تسامحه ، وترك الفرصة المذهب
 إذا أبدى رعة في التوبة وعرضا عليها . روي أن قاطع طريق يدعى (قنديل)
 أشد ساعده بن يمان وأريحا ، فتمرس للمعظم نفسه عندما خرج من دمشق
 يريد بيسان ، وتمكن المعظم من القصر عليه ، ومعنى به إلى القدس ، وأمر أن
 يمشق ولزكى (قنديل) فقدم إليه في شجاعه قائلا . هل لك أن تسبقني ، أحمي

جلادك ، واحمد الكمار بن يدك ، على أن يستخلصي ، وأقسم لك على أن أفي
بوعدي . فتراد المظلم أن يهد له طريق القوة ، وأن يستعيد من شجاعته وبنائه ،
وأن يكون قوة في يده ، خلع عليه ، واستخلصه ، وأطاعه ، فدخل إلى القود ،
وأقام به هو ورجاله حرساً له . فأصب الطريق ، وسقطت الأموال ، وفي
إحدى المعارك مع المرمح هدم جهاداً عظيماً ، وقتل منهم جماعة ، حتى استشهد .

أدبه

أعزم المظلم بالعلم والأدب ، أحاط به بحاشية من أهلها ، وكان يقدم في
كل ليلة حمة ، ويجلس معه الفصاء ، والعلاء ، والفتها ، والشراء ، وأرباب
العمون ، ويتباحثون ويستدلون .

وأدرك المظلم خطأ كبيراً من الثقافة الأدبية ، حملت عليه مطواعاً له يدا
كتب ، بقدر رآه في كتابه الذي بي لنا ، وهو كتاب السهم المديب —
دا أسبوت واضح ، وعمارة بيعة ، وملكاً عاماً هي لغة الأثر الأدبي الذي له ، وهي
الرسالة التي أرسلها إلى سبط ابن الجوري ، وقد أوردناها في معنى .

وكانت ثقافته الأدبية تدفعه إلى أن يشتمل الشعر ، في مواطن التمثيل به ، كما
رأساه عند ما التقى بأحبيه الكامل في الإسكندرية ، فترحلاً واعتف ، ثم بي رافقاً
بعد أن ركب أحوه الكامل ، فلما أشار إليه بالركوب ، أشار المظلم إلى العرس
الذي تحته ، وأشد :

وإذا المظلي ما يلحن محمداً نظم ورهن على الرجل حرام
فأطرب ذلك الكامل .

ولم يقع المظلم ما ناله من الثقافة الأدبية ، بل أراد أن يصح اسمه في سجل
الشراء ، فحصى بفرس الشعر ، حتى صار له فيه ديوان ، وهدى بذلك كان يريد أن

وقد علم إليه هذا السب ، مع أن حمود المؤرخين يدعون أنهم لا يعرفون للأسرة
الأيوبية أباً بعد شادي .

أما الملك الأشع الحسني بن الناصر داود بن المظفر عمسي ، فقد أسكر في
كتابه «توفا النيرة في العرائد الناصرية» — المحدث من الأكراد ، مؤكداً
أن عدم أبوب بن شادي عرق ، بل بهذه القبيلة الكردية ، وتزوج منها ،
فصارت بينهم وبين الأكراد حشوة ليس غير ، كما كان بينهم وبين الأتراك
حشوة أصلاً ، فإن أممات جماعة من الأكراد منهم كس تركياً . وقد يدل الملك الأحمدي
على دعواه بأن سلاح الدين عندنا تم إشراق شحمه لم يعرف أن كرداً من ناحية
أيه كان له به ، فقال ، «إنا كان أخوه من الأكراد يتنون إليه بواسطة الأمم ،
فلو أن أخوه من ناحية أيه كانوا أكراداً ، لأوادوا عليه ، واسهرود هذه الفرصة
لأنهم ، يطاعروا ضد من الحمد والسلطان ، فلما لم يجد كردياً قد
اتصل به من ناحية أيه ، ذلك ملك على أن أخوه من ناحية أيه لم يكونوا من
هذه القبيلة الكردية . وقد أزال الملك الأحمدي الحديث عن هذا السب
وتحقيق عريقته

كان المصنف إذاً ممن يؤمنون في وزارة «موسم» تهوق المذهب العربي ، فأقبل
على ثقة سهل منها ، ويسمى أن تهوق فيها ، ويكون له نسب في أمم مظهرها ،
وهو الشعر ، ورغم أنه كان في بعض الأحيان لا تكاد تسميه بقم وزن البيت إلى
إلا أن تكثر من الإنتاج الشعر حتى سار له كما قال مؤرخوه — ديوان ، لم يس
لنا منه إلا دليل لا يشق العليل ، منه في العمل قوله :

بادرة العواصم ، بل ياطية القصاص ، بل يادمية المخراب
عادت فيك عصابة كانوا على قرب الدمار وسببها أحمانى

وقوله :

أحسن إليكم ، ثم أسأل عنكم وماذا لكم قلنى ، فقيم سؤالى
بأن قلت لم يطق معركم فى وإن تم كسبكم فى المام حياى
وقد خافه التوفيق فى استخدام كلمة عصاة ، فقد صارت مقبرة فى الدهن
مخافة الأشرار أما معنى الحسب إلى الأحباب ، والسؤال عنهم برعم أهم يسكنون
العقود ، فقد أومحه فيه العاصى العاقل عندما قال :

ومن عجب أنى أحسن إليهم وأسأل عنهم من أرى ، وهم سى
وسلبيهم عيسى ، وهم فى سوادها ويشاهدهم فليبي وهم بين أملى
ومن شمره الذى يدل على أبهة الملك قوله :

هجم الشتاء ، ونحن باليداء قد همت شرته بصوت عناء
وجعت فاسد يرول محمها هم الشتاء ولوعة السرحاء
دح ، وقاوى ، وقاوى فهو مع قيسة ، فى عمة ررقاء
ومعلا عن دلالة الشمر على آرف الملك يدل على ثقافته ، فديعا جمع
بعض الشعراء كافات الشتاء .

ومن شمره حين ملت والله :

يقول أناس يسمون فضائل وعظم أرياحى الكارم والمجد :
الأنحصر المرحوم فى حال دمه فقلت ، ولى قلب ، متب مألوحده :
خشت أرى الإسلام والمك والملا وبذل البدى والحلم يودع فى اللحد

وكان المعظم فى امتناعه عن حضور دفن والده أكثر شاعرية منه فى شمره
هذا ، فلا صلة بين علم الناس بمعائله ومعظم أرياحه الكارم والمجد وبين الامتناع
عن حضور دفن الوالد كما أن الشطر الأول من البيت الثانى ذو أسلوب عامى ربحا

أراد به المظم حكاية ما قيل . أما البيت الثالث فأقوى الآيات من حيث دلالة
على ما يحده المظم لأبيه من تقدير وإحلال .

ومن شعره ، وقد صرخى الحلى :

دارت مججمة الذنوب . وودع

بانت معافى ، كأتى حبا

قالت ، وقد عومت على ترعائها .

أما أطول قصيدته بقيت لنا من شعر المظم ، وهي التي أرسلها إلى أبيه الملك
العادل ، عند ما كان هاديا بها بالإسكندرية ، سنة ثمان وستين ، كتبها مدشوما
إليه ، راجيا أن يزوره ، وأن يعود إلى الشام ليقيم المدو الراعي بها ، ويرضى
بذكر مصر وشدة حرها ، ويقول :

رو رماحك من دماء عداكا

وارك حيولا كالسمال^(١) شر^(٢)

واحلب من الأطال كل سبيع^(٣)

واسمرع^(٤) السمر^(٥) اللدان ، دروها

وصر المداة إلى المداة مسادرا

واسكع رماحك للشعور ، فإها

قالن في صب الخيم على الداء

والنصر مقرونت بهمك التي

وأنه بريك من ألساع سواكا

واصر سيراك من تشن عساكا

ومرى^(٦) حرك كل من تشاك^(٧)

ومن البسة سيدك الأماكا

بالصرب في هام المدو دراكا

مشتافة أن تنتى سلاكا

تردى الطامة ، وترمع اللأكا

عد أسجر فوق السراك^(٨) سساكا

(١) سعال : جمع سعال ، ومن قول أوساجد الغن

(٢) شرب : جمع شارب ، وهو الصامر

(٣) السبيع : إليه الكريم الشريف ، والاحتجاج .

(٤) يدى : يشى .

(٥) شام : أحمره .

(٦) رعب : جرح من أفع القدم

(٧) السمر : الرماح .

(٨) السراك : تجمع .

فإذا عرفت وجدت من هو طائع
والصريح في الأعداء يوم كرمية
والعجز أن تسمى مصر حينا
فأرح حشانتك الكرمية من لطي
وافقد عدا لطي عليك بحرفة
واقص إلى راحي امك مصارعا
وارد هؤلاء السهام دطره
وانتف العدا عليل ص هائم
مصادق بالمال الملك الذي
عقبت لي باللكي في عمة
وإذا نهضت وجدت من عشاكا
أدلى من الكأس الذي رواكا
وتحمل من لك المراض عراكا
مصر ، لكي يحول العدا مداكا
شفعا ، ولا حر السداد هداكا
فتدلى من كل الأمور نقاكا
وأعد عليه المش من رؤباكا
أصحي مناه من الحيسة مداكا
ملك الملوك ، وفازن الأملاك
وحملت في كل الأمور هداكا

وقد عرفت هذه المقدمة عند ما نيت على الحاصرين من ناحية العادل
بالإيمان والإيمان ، « وأحدوا في الجحان طامها ، وسبق عر ، النامها ،
والثناء على الحاطر الذي لم يحكم آياتها ، وأمالع من مشرق ، كره أماتها ،
ومن الداعي أن قابل القسيدة في عصره العادل والدعشها هذه القليلة بالبيئة
بالاستحسان ، وإظهار الإحسان ، والواقع أن القسيدة على خط كبر من الحودة
وإن حده التوفيق في التمسر عن بعض مهابه ، كما في قوله . « واسم القسيدة
سمك السكاكا » ، ذلك أن السيف لا يسقى الماية والكمه بدمها ، الأعداء
وكنايته في إكساح الزماح للشعور كانت مقبولة في عصره ، « لكنها محجوجة في
أيامها هذه ، والدوق السلم لا يملها كما أن القليلة الطليعية التي كان النبي
يقبلها قد أهنت منه و قوله : « زدى الطماعة ، وترف الأملاك » ، يد الطماعة
فما لهم الدول القسطنطينية . وكان اسم استخدام اسم الإشارة عبر موفق في قوله .
« وتحمل من لك المراض عراكا » ، يشير بها إلى التمام التي فقدت حين عادرها

المادل المراك مع الصدو . وفي قوله : « . . . لكي تحظى العدة بذاكا » ، ولا مرجع له في الكلام ، ورعا أشار به المظم إلى حو الشام الرفيق في العيف ، في الوقت الذي تقتط في حارة مصر . ولكن باب المظم أن والده كان يقيم يومئذ بالاسكندرية عروس البحر ، وهو في الصائغ .

وسرت إلى شمره أسنوب عا في قوله « ولا حبر اللاد هالك » . واستخدم الرؤيا مكان الرؤى ، والأولى تكون في اليوم ، والأشعر لا يريدها ، ولكن يريد رؤى اليقظة .

كما أحط في استخدام الأملاك ، بدونها جمع (ملك) ، ساهى جمع (ميلة) . ولكن رعم ذلك كله محد الفصيدة جديدة ، صمها في الصف الأول بين أشعار الملوك .

رعد أراد المادل عند ما وردت هذه الفصيدة أن يحجب عنها ما يات من ورنها ، وعلى ذابها . وتولى ذلك على من ظهر صاحب كتاب مد شع البداهة ، فظم مسرعا قوله :

وصاب من الملك المظم تحمة	ملأت مفاخر درعا الأسلاك
أيست شمر ، كما يوم حلالة	هلبا حكمت أوراها الأذلاك
عجب ، وقد حارب كمثل الروص ، إذ	لم تزوها بطر بار دكاكا
حات المضموم عن الذؤاد ، كمثل ما	تخبو سرة وجهك الأحلاك
كقمة من يوسف إذ شمت بدقوب	رياه ، شفتى مثله رياكا
قد أعجزت شعراء أهل زماننا	حسبا ، فلم لا يحجز الأملكا
ما كان هذا الفضل يمكن مثله	أن يحثوبه من الأيام سواكا
لم لا أعيب عن الشأم ؟ وهل له	من حاجة عدى وأنت هلاك ؟
أم كعب أحشى ، والبلاد جميعها	تحية في حاه طمن قداك

مكفى الأعادي حر نأسك فهم
 ما ردت مصر لغير مسط تنورها
 أم السلاسل علا عليها قدرها
 طابت ، وحس لها ، ولم لا ، وهي قد
 أنا كالسحاب : أدور أرضا سابيا
 مكئي جهاد للعدو ، لأنني
 لولا الزباط وقصه لقصدت بالـ
 ولئن أنبت إلى الشأم ، فإنما
 إلى لأمتحت الحمة طاهدا
 طاهر ، وقد أصبح بي وبأ
 لارت تقهر من يمادى ملكنا
 وأعتب أطر إنك الساق أبا
 أصناف ما مكفى الولي نداكا
 فلذا سرت ، عدبت ، عن رؤياكا
 لا سيما مد شرفت بحطكا
 حوت اللي في المختار أحاككا
 حيا ، وأمسح عورها سقياكا
 أعروه بالراى السيد دراكا
 ير الحثث إليك بيل رساكا
 يحشى شوق إلى أفيكا
 وهوى في تشبه هواكا
 مك الخاى ، وكل مملك يحشاكا
 أبدا ، ومن عاداك كان عداكا
 ونعش يحدم في السمود أمانكا

وقد أعجب المادل بهذا الرد ، حتى لقد فاصت عيابه بالدمع عندما باع الشهد
 آخر قصيده ، والظاهر أنها عبرت عما يحس به نحو أنه العظم : من تقدير لشمره
 ودكائه ومقدرته على الدفاع عن بلاده .

وكان العظم يرى أحيانا أن يرد على الشمر بالشمر ، ذكرود أن العظم كان
 نارا مرة سانس ، وفي معسكره بهاء الدين مصر بن محمد القيسرائى ، ومث العظم
 جماعة من عسكره ، فأغاروا على مدينة فيسارية من الساحل ، وكانت يومئذ بيد
 الفرنج ، فأسروا وقتلوا ، وغادوا مطعريين منصورين ، وهم من قمار فيسارية
 أترج كثير وليون ، فأسر العظم على طقس كبير من ذلك الليمون والأترج ،
 وحمله بعض العلماء إلى بهاء الدين بن القيسرائى ، فلما وصلت الهدية كتب إلى
 العظم يقول :

يأيتها الملك العظيم ، والذي
أوليتني بها ، إذا أظهرتها
فليمت اليوم الذي قد أطلعت
أصحت له الدنيا زحف عروسا
للناس أظهر حاسدوها يوسا
به الكتوس كواكبا وشموساً
فكتب إليه العظيم :

يا من نمرد بالعصائل دائماً
لأرت في درج الكارم رايماً
فكتب إليه ابن القيسراني :

مدح يمدح يستطاب ، ولا أرى
وأرسل إليه العظيم كثيراً من الخلع
قيمة الجميع تناهز ألف دينار مصرية .
ما بين ذكك درهم وفلوسا
والثياب والحطة والشعر ، حتى كانت

هذا ، ويظهر أن العظيم قد مدح موب ابن له ألحم الحادث الشديد بسبه ، فلم
يستطع رثاءه ، وعاد إلى ابن عيين أن يقوم هو عممة الرثاء ، وقد سبهم ابن عيين
بما طلب منه ، كما سنرى في فصل مقبل .

وكان العظيم كثيراً ما يحضره ممن يسحبهم الزخرف والصناعة في المارة ،
قالوا : كان كثيراً ما يشد هذا التطوع :

ومورد الوحشات ، أعيد ، حاله بالحن من فرط الالاحة عنه
كحل الميون ، وكان في أحفانه كحل ، فقلت سقى الحسام ، وسبه
وامد ، فإن شعر العظيم كان حديراً أن يظلمنا على الكثير من حلجات قلبه ،
وأنا في به ، وما من به في الحياة من ضروب السمادة ، وأسباب الألم ، غير أن
ديوانه قد فقد ، كما فقد الكثير من دواوين أبناء عصره ، وبقيت هذه القطع

القليلة ، وهي ندنا وعم قلنا على أن المعلم لا يتحلف في شعره عن الملوك الذين
روى لهم التاريخ شعراً .

و قد ورثه في حب الله وقوله ولده الماهر داود ، وحفظ له الزمخدر ديواناً لا
يرال ناعاً من أيدينا ، وسوف نتحدث عن ذلك عند الحديث عن الماهر من المعلم

الشعر بمدحه

أقبل كثير من الشعراء على الملك المعظم ، بمدحونه ، وبطاررون شعرهم باسمه ،
واشرك في ذلك أعظم شعراء عصره وكما به ، عرف من بينهم القاضي الرئيس
جمال الدين بن شنت ، صاحب ديوان إسنائه ، وقد بقي من مدحه لملك المعظم
مسيحة أدل فيها العزل ، وأس فيها من الدج سوى رب واحد ، وأست أدري
إن كان ابن شنت قد اقتصر في الدج على هذا البيت ، وكان يهدف إلى إشباع
رغبة المعلم في العزل ، أو أن الدج قد قدم من المسيحة ولم يبق منها سوى العزل
والبيت الذي يخص به إلى الدج . والمسيحة هي :

ما قلبي إلى السور طريق	أنا من سكرة الهوى لا أيق
صحبوا يوم بهم ، وسكينا	فترات سحائب وروق
لو ترانا ، وللطائف إحسا	ق إليسا ، وللقلوب حقيق
لأنت الدليل خيرات منا	كلنا لاح لللال شروق
وسهام اللحاط قد فوجى	فلما كل رقت صروق
أست أدري إذا صرتم اللهم وحدي	أحرقت رشتته أم رحيق
أيدعي أهل الزناد وشأى	لنسى ندري ما بالأسير الطليق
أعبرت دار من أحب ، وكما	ت رفق بها ، وعصن ورنق
وهف نوبها الصديق ، ولذ	يح عليها من حسرة تصديق

دار لهُوى ، وللهوى فى منا
أشبهتني ملك اليبار ، فجسمى
وكأن الثياب امط ، وحسمى
ورشبي القوام برشق ، بالخط
لحظه قاطع ، وعافرق الجفن
متمت بون صاحبه ، فأدى
لامه فى أسداعه لامة ، وال
فندا خط حسنه ، وهو مد
أحدق الحسن بالحدائق من خد
مسحة للجمال مسح بركنيه
وكأن انخال الذى لاح فى لج
طاس الحس منه ففواى الش
يردف الردف ، وهو نخته الحصد
فائق الظرف ، فانك الطرف هذا
يا حطلى ، إن السدو كثير
والرفيق الذى يؤمل منه الر
وبسوق الموان يتنزل القصف
فسد الناس والزمان ، ولا بد
قالكريم الذى يفيث يثوث
غير أن الملك العظيم فرد

نباها عروقه تنمى ، ووجد عريق
دارى ، ودمع عيني العقيق
فيه معنى من المعنى ، دقيق
ولا يستقل منه الرشيح
وفى جفته عن السيف ضيق
ألف الحسن ، هذه المشوق
ميم فوه ، ولراق منه الرقيق
شور ، وأحلافه عليه خلوق
ه ، لما آداما التحريق
ما وخذ له الشقيق ثم فى
ة خديه ، طاف غريق
مر ، فيه التجليس والتطبيق
مر : ما مهم ، وهذا دقيق
وهو فى كل حالة مشوق
فأحدره ، وابن أين الصديق
فى قاس ، فما رفيق رفيق
ل ، فما للفرع منه سوق
بحن أن يخلق المخلوق
والأليم القى يعق يعوق^(١)
فاق فضلا وخصه التوفيق

(١) سوت ويعرقة : اسما صبيين .

وإذا كانت القصيدة قد صنعت بألوان الحسنة القديمة ، حتى صارت أشبه
بجسم لا روح فيه ، فقد كانت سمة العصر بوضوح نقصي بالمائة هذه الحسنات ،
ونفعل على الاستكثار منها .

ويدا كان البيت الذي نعى من مدح ابن شعث لم يصور لنا سمة من سمات
المعلم ، إن الذي مدحه قصيدة ، سجل فيها روحه في معركة دمياط ،
وما كان من أثره في العصر الذي ظهر به المسلمون على الفراعنة ، وفي هذه القصيدة
يقول :

سرى الملك الولي المسلم في الدحى	نأطاع بحم العصر بعد معية
ورد على لإسلام بعد كآفة	رودراً ، وحاولي الدين بعد شجوية
تحلى بمسعى عمها ^(١) ، واءتدى بها	ورمداً ، وأسى حجرها من أسية

وهو شعر عليه سمة العلماء .

ومدحه ابن السكيت ، وحسن له قصائد طوطة ، لم يسبق لنا من معلمها
سوى عزمها ، واليب الذي تملمس فيه من الزل إلى ادح ، من ذلك قصيدة
يبدأها بقوله :

سألتا احتاق الواشي وما قلا	أما وعينيك ، لا قال الأمام . سلا
أما تخمسه من الزل إلى الدح	حيث قول بعد عزل طوبى :
دم البوى كل محزون ، وردي	شكرك فيه حياض الخيل والإبل
أعق من البس أهدب لي مطامحه	وللسرعة يندر النم ، لا أفلا
وما التهام سوى الملك لمطمع عاد الآ	رض جمّاً ، فعم السهل والحنلا

ومن قصيدة أخرى يبدأها بقوله :

رأى وقفة ابن حطّاء فطيماً	تدب القلوب ، فتخزي دموا
---------------------------	-------------------------

(١) أي ، محلى عم قصائد مالك النعم عيسى

ومضى مطيلاً في العزل ، ملالة فاحشة ، دلع فيه أرملة وثلاثين بيتاً ولم يسق
من مدحه سوى هذا البيت :

أماح المظم مى حتى مصوبا ، وقد كان عنه دعوها
ومدحه فعميدة جاء في أولها قوله يتنزل :

عاد منى الخيال طبيب الخيال مرحبا مرحبا ، من وصال
ولم يسق كذلك سوى بيت تخلصها ، وهو قوله :

لا أدم البعب الثت وقد حادسا بالمظم المعضال
وبأخرى أطال في عرل ، وبدأه بقوله :

بسم الصا مثلى بصح ويحتم كلا ، ممي بالفسود متم
وتخلص منه إلى المدح فقال :

ولا عائد إلا حبي ودكركه ولا واسل إلا ذال محلم
وحروب هذا الدهر ، حتى عمرته وما جاهل شتاً كمن هو يعلم
وهشت أحشاء الزمان وأهله ولا ماحد إلا الملك المظم

ومما مدحه به قصائد أخرى ، بدأ إحداها بقوله :

أهدى الصا بدكارها لبيد ، شط مرارها

وتخلص إلى المدح بقوله :

عطى الأن من الجـ دوت الويقات حوارها
وإذا محاب الخجل فالملك ك المظم حارها

وبدا الثانية بقوله :

هيج نبلى بأهل بابل ليل الخيال وصاح العادل

ومضى إلى الدح متخلصا إليه بقوله :

وما دانت كاثوداع موهما سكي أفتيل لوعة بالفاضل
 معصو القوى للضعيف عسده ويطلع الحيد فصل الهارل
 يا سائل ، لا حث عى مثالا عن عسرى على الزمن الحادل
 بلت الى أروى فى ثوب العى فإلك المعظم من المعدل
 وبغيرها كان معلما قوله :

سرب موهما ، لا أمد أقتصرها ورارب ، فاعى وأمل الرن مدها
 ونق محله فيها من المرل إلى المدح إذ قال :

وارد أهاش الصا ما أدها وأطيهما ، لولا الثرام وأدها
 واطول عيط الكاشح لرها وعد جهوا أدها ، وعرفدها
 وبيلة وصل ما ركست مدامى وأوها ، حتى عثرب بأجرها
 منسهرسل الكرى تحمط الدعى فعادت أشباح الهوى إذ يمشها
 وقد هتعت ملك المعصب من الحيا كأدى الملك المعظم يمشها

ولست أدري السر فى إلقاء ابن الساعنى على مرله دون مدحه . ولم يخص
 ابن الساعنى ذلك بالملك المعظم وحده بل سار كذلك فى القصائد التى مدح بها
 بعض عظماء الرجال كصلاح الدين مثلا ، فاعظم قصائده فيه بقى عرلها ، ولم يمتز
 على مدحها ، فهل ذلك من فعل الرواة ؟ على أن ذلك لا يعمننا من التساؤل عن
 السبب الذى دفع الرواة إلى ترك جزء من القصائد وتركه . والحق أبى لم أهتم إلى
 تحليل صحيح لذلك الاتجاه .

ولم يبق لنا كاملا مما مدح به ابن الساعنى الملك المعظم سوى قصيدة واحدة
 بدأها بفرل تحدث فيه عن دكرات حب عريرة عليه إذ قال :

سقيت حيا (١) حتى بابا الحى وإن كان ماء ، أنت ستره دما
ولم أنت يوما من صدودك حادثا وانكثى ألكى وسالا تقدما
إلى دنو ما أرق حواشيا وعصر نساب ، ما ألك وأما
أنت مدد الأمام إلا تلوتا كهدك ، والهدات إلا تلوتا
ولم أنت حتى ما صابا صابا وهما أن أروى ، ولولا الماسى (٢)
ومضى في عرله التسم بسمه من الحرف ، ولما يدر منه الأص على
الماسى ، راكمت عليه ، ولعل الحوى الذى أهدى ، ودعه إلى المرح كان
حوا يدرع عرله بهذه العسة الآسفة ، وشهرا بهذا الحوى الذى تسمى فيه سده
القصيدة قوله بهذا السدل إلى المدح :
ولما انهى صرف الزمان مددك ولم يبد إلا سوء ومهما
ركبت به عرمى ، واست بالعم سدى الأمر إلا أن كند ونهرا
وآيت لا رارت حياى وأبقى ما كدت ، إلا ليدك المعطى
وهو حو ينى مدق وقع فيه الشاعر ، حقيقة أو متجيلا ، مضى يتلى
من ينفذه منه ، فالتحقا إلى المليك المعظم . وهو حوثير الأثم ، إذ فارق الشاعر مصر
فريح العين ، مستهام القلب ، دائم الحدين إليها ، وذلك حيث نقول :
سعى مددا (٣) ، ما غادر الليل من صدى (٤)
وأسى ركلى قاسيون (٥) انقطعا (٥)

(١) أيا : المطر .

(٢) أى لا كبت صابا والمسى : سحره فى التفة .

(٣) مدد : مفرقا ، يد أنه معرى التسم والتلف بين مصر ودمشق .

(٤) يد أنه لم يغادر الليل لأنه عطش فى مصر .

(٥) قاسيون : جبل دمشق أى أن قاسيون لم يسه حبل المعظم .

على هزمتي مصر السلام من امرى إذا ذكر الأوطان عن وسلي
وما فارقتها العين إلا قريحة ولا القلب إلا مستهما متيا

هو إذا في حو ذكريات دلت على حاطره ، ولا عراة كان عرله مليئاً بهده
الذكريات ومضى مدود مدح المعظم عدي بالكرم ، وعرو الحاس ، وعلو الهمة ،
ورحاه الرأي ، بكرم الدم ، ووعود ذلك سورا متبوعة ، بد قال

فقد من الأملاء أم ررم دى وأصبحهم كفا ، وأمنهم مهي
وأشرفهم مدي ، وأربا ، وبعثة وأكرمهم عفا ، وخالا ، إذا اتنى
وما كان حود الدهر طبعها يثله وسكته من أوليه (١) ملها
أخو السيف ، لولا بأنه قطر الندى ودولا الندى في كفه لتصرما
بذم ، إذا ما قبل : كالليت سطاوة وبهمجي ، إذا يدعي من الفيت أكرما
إذا حث (٢) عيسى ابن الساجدة والندى فقد جثت في الإعجاز عيسى ابن مريم
مكم بت من فقر ، وكمت من غنى وأشر من ميت ، وأبرا من عسى
فقي أمصحت عنه غضايل مجده فقي مهده مفعلا بين تكلم
يربك ربيما كل وقت جنابه وبأبي نداء أن يكون عرما

وانتقل بعد ذلك إلى الحديث عن شجاعته ، مد أن عقد الوارده يسه ويين
عسى ابن مريم كآراء ، وعما كره من أرقى ميانة القدس وحدها من
الفرح ، وقد ألقى عليه عبه حوضها عتده دأع بأ رعة الفرح في الاسيلاء
عليها ، والشاعر يمدحه بسداده في الدفاع عنها قائلا

سلوا ألسن الأعلام عن ففكاته ووثب الداكي ، والوشيح المقيوما (٣)
حي القدس من ردف الأعداى سمرما فما يجد الخطي (٤) إلا محطما

(١) أي ابن حود ليس مداد . هو ولكنه علم من أسلاب المدوح

(٢) مد - قطع

(٣) الداكي لقب أبيول مدنة والوشيح شعر برماح

(٤) الخطي : الرمح .

شكا أهلها دأى محول وحيفة
سقى ريتها ماء الحديح سيوكة^(١)
فم وى فى ساحاتها غير مسلم
وما صانها دارا تحمل ، وأختها
إذا سل بالبيض الحامض أشرفت
بضىء عياد ، وللكرض هبوة
وما جلق فى الدن إلا كغيرها
ومد حدث عن دمشق ودعاء لها ، وذكر وصل المظم على أم بار لآمنها ،
أحد يحسنه عما لأمدته من آل دمه إلى الفر ، وشهد الرجال إليه ، وقال :
به حسب عدى النى ، ونقره
سيملم من أسرى ، فأغرق آملا
بيك قطلنا اليد بالخليل شزبا^(٢)
فيا كم جرعنا^(٣) وأديا كان مقرا
والله ، ما دى أحسا دياميا
نسوق إليك الحمد أبيض ساديا
وغيدا^(٤) أبت إلا زاما إلى الملى
أنى الحمد أن يعنى سوى الحمد مسحة
إلى أن دلهما سدة الملك ، كما

فأحرى على أعطافها الساء والدما
فى غيرها لا يستجيز التيمما
ولولاه لم تبقى القرنجة مسلما
ولكنه سان الحطيم وزمزا^(٥)
وإن كثر ثوب الصبح يالفتح أعتا
فتلقاه فيها سافرا مثلا
إذا لم يحطم دلاءسا وبجيا
حدث زمانا ، كان قبل مفها
ندى غيره ما مال من سار مشها^(٦)
ضواير قبا ، والمطى مخزما^(٧)
بحودك ، أو ثور من الأرض ممها
من القفر ، أو وثى الرياض المنمها
دناق إليه الدور رمار ممها
وقد شقها حب المالى وتيا
فيسأل وينارأ إليك ودرها
سألنا أمرا على عليك توسلنا

(١) أى سقى الدم سيرة حتى روي .

(٢) أى أنه صدقه للندس كماه سان الف المرام فى مكة .

(٣) أغرق أى الغرق وأشأم أى التلم .

(٤) شرب جمع شارب وهو الشارب لياس .

(٥) حرم لعمري : جعل فى حاسم حرة حقة .

(٦) حرج كعج . صنع . (٧) يريد بها قصائده .

ومما ورد إلينا من شعر مدح به العظيم عيسى قول ابن السجف الشاعر ،
وقد قسم من الشرف ، فطلب منه هاء الدين الشرف على دار الزكاه ، أن يؤدى
ركاه مائة من النجدة - « كتب ابن السجف إلى العظيم :

أيا ملكاً ، أباد عداء ههراً وأحيا كل ممة وفصل
ومن هو كالسبح اسماً وفلا وبصا للحياة وحرم فعل
مكافى الهاء ركاة مال حرام كله من غير حل
قد هات مالكم ، باني أحل ركاتكم عن مال مثلي

ومدح عليه الشاعر بالاصطلاحات الجوية الحرة إليه .

وممن أكرم في مدح العظيم ، أحمدوا ، ابن عيسى الشاعر ، ونرى أن ورد
في ذكره ، في المسلة بين المدح وشاعره .

صسطه ابن عثين

توفيت العلة بين المدح والشاعر ابن عثين ، حتى صار من أحص رجال
حاشيته ، كما ... في أنه ذكر ، ورد ، عيسى الشاعر يسوع لأبيه عقود المدح ،
ويظم فيه الملائكة ، ولعل من أوائل شعره فيه تلك القصيدة التي بدأها منتشقة
إلى دمشق ، ... جيلامها ، وملائك طمولته وشابه بها ، وربما يكون قد
أرسل بهذه القصيدة إلى العظيم عيسى ، فلأن يدخل دمشق ، أرسلها إليه ، كما
أرسل قصيدته إلى المادل ، يسطع فيه ، راجيا أن يعود إلى دمشق ، ويرجع
أها من أول قصائده فيه هذا الحديث عن حبيبته إلى دمشق قائلا :

أشافتك من عليا دمشق قصورها وولدان روض اليريين^(١) وحورها

(١) ثلث ثمة مشهورة بدمشق .. في وسط البساتين امرء مومع رأيت ...
ولد ذكرها ابن حنان وسماها اليريين . اه باقوته .

ومنتجس في طبل أحوى كانه
منارل أس ماأحت، ولاأحت^(١)
كأن عليها عقرى مطارف
تريد على الأنام نورا وسحنة
هذا الرمح صرت في رهاها كرهية
خليق إن السنين أهي مدامى
أقد أنتت بعدى السررات بعدكم

وعد حديث عن لوعته ، تقول مشتاقاً إلى دمشق :

حتى أن في دك يؤم ضا الحى
حروى شغل لمن يوامس
نظان درا سان ، واللبل عاكف
فيه ح عسرون ، ويكت حاسد
وقد أحس انتقاله من هذا المرض إلى مدح العظيم ، يقول :

وقد مات ، آمال عندي وإعما
إلى شرف الدين للبيك شورها

ومضى الشاعر مدح الملك مرداً صفتين ، لعل ظروفه وأمله في أن يجد الأمن في
عهد دونه إلى أن يعرف ، وهي صفة عدالتهم بحاحه أمل من يرحو بتمته ، وقال :

بلاق بني الآمال طلقا ، فشره
وما سيرة محمود لا يسيرها
حلت عما ضمت أباطح مكة
أقد فار الملك العظيم أمة
بما أمدته من نجاح يسيرها
وما سيرة محمود لا يسيرها
عداة منى ، والدين تدى نجورها
بلى عدله الشهور ودت أمورها

(١) أنتت عت . وانجى التى : ذهب أثره .

أما عذ هاتين الصبيحتين من عزمته وهمته التي تشد الحوراء إن بدا لها عاساً ،
ومحشع لها الهلال ، فلا يحسر أن تموت حتى يسر سراً ، وكرمه الذي عذب السحر .
إذا عيشت به ، فقد انطقت في تسويده ، وبالبحر من مدى حدود الموتى ، إذ غفوا .

هلم نطل الشمس من عزمته عجبته • مع الداعي (١) ستورها
مريب ؟ مع لاني الكواكب عاساً • امتدت الحوراء وحرب عورها
ولو آمنت منه الأهلة عصاة • لها سطوة أن يتم طورها
شرف أسى السحب إن قال فائل لأدنى بال منه • هذا طيرها

ومما يلحظ أن الشاعر قد أعاد في هذه الأبيات في الحديث عن عواطفه نحو دوشق ،
وحبه لها ، وتحببه لها ، وحسه إلى رؤيتها ، وكان ذلك أكبر من مدحه
المعظم ، مما يرجح لنا أن هذه القصيدة قد أشتب الترتيب بين المظم عليه ،
والتحامه . فإذ إلى قلب أبيه المادل ، عليه يسمح له بالعودة إلى دوشق .

وفي مدحة أخرى بدأها بمرل ، مرحلة بالمدح من الخ ، وسب لرياض ،
واشتمل إلى مدح المظم مدحاً به فوه ، وادخلت عن شعور الشاعر طاعة ومدوحه ،
وأعبد الخ إلى الشاعر أنشأ قصيدته في مقربة تقرب بها إليه ، ليكون في يده
لدى أبيه والشاعر في هذه القصيدة يتحدث شعراً ، ويصوره في ميدان القتال
مقدماً لآلهاب ، إذ يقول عنه :

الحائض الممرات في رهج الوعي والحرب طامره • سحر فذاع
والقوم بين صردع (٢) دمانه وممرد (٣) دمانه (٤) مفصاع (٥)

(١) الماكن من على أن غلب مدح وحياسه أو سفل

(٢) ردهه ناشه • محبه به

(٣) عيرد • حرب

(٤) الدنه • فقه النفس

(٥) صراع • حقل راجعاً مسرعاً

في موقف منك كبريه طعمه
 عطية تم سيد^(٢) ، كأن مروره
 أو قوة شعواء^(٣) ، حقق طروها
 ومهدد يمدو على مد مجاة
 ومثقف في رام مهجة فارس
 فكأن تحكمة السوانع عنده
 يجمان معشاة العرائم ربه
 كأنما يحفل في عمراتها
 ليت الشري^(٤) في من^(٥) أجدل^(٦) كاسر

حس الفوارس منه في حجاج^(٧)
 سيل تدافع من متون بلاع^(٨)
 من رأس مرية^(٩) بلا^(١٠) في قاع^(١١)
 دراقى به فوق حمل ساع
 لم يحما موصوه^(١٢) لأدراع
 من صبح حرفاء البدين الكاع^(١٣)
 في الحر - عبر القتل^(١٤) الصمغ^(١٥)
 والفتح قد سر لأش^(١٦) دماغ

يسطو يصل في ثياب شجاع
 خلقت أسامه الحطام مثقف
 وصل عدى ، ومظ براع
 ملأ مفاعله الزمان ، فدهره
 ومن يوم فرى ، وروم دراع

- (١) الحجاج : للوضوح الضيق الحثيث ومعرفة الحرب
- (٢) العطية : الضخم ، والتهد : القوس الحثيث الجليل اعظم الأعمى للعرف .
- (٣) تلاح : جميع تلاح وهو ما ارتفع من الأرض .
- (٤) القوة : شعواء : صاب الأمن
- (٥) ابروه : سكال العالي
- (٦) صا : وس نسي - عه يوم
- (٧) القاع : أرض سهلة مبطنة قد مدح بها حثيث ولا كلام
- (٨) لموصوه : ادرك قدره صبح .
- (٩) الكاع : ثنية
- (١٠) القائل - الضعف .
- (١١) الصمغ : الرشح بالأرض ولا حرم
- (١٢) هكدا في ديوان ولما : عجي ، أو شامها .
- (١٣) شمري : صرح في سلب كثيره الأسد .
- (١٤) القتل : الضيق .
- (١٥) الضعف : الضعف .

ولما كان قد أنشأ هذه القعيدة في مقترنه تحدث فيها عن رغبته في العودة
والإلتئاس بقربه ، فقال :

يأيها الملك العظيم ، دعوة
لآبائي لندوام ملكك داعياً
يهدى إليك من الزمان ملاًساً
فإني متى أنا بالسفار أصبح الأيا
ديتنا أصبح بالسلام علة
وسما لنا بين الخطباء إلى الصما
إلى أن تملح سمحك شيب
وهذه قصيدة أخرى أرسلها إليه ، يشكو العزلة ، ويريد فيه كامن الشهقة ،
عساه يرجع إلى وطنه ، وكان أكثر ما يحده في المعجم شجاعتهم وسألته ، ومهد
لهذا المديح بمقدمة ، كلها تناء على الاستجاعة والإقدام ، وحمل ذلك مفتاح قصيدته
مكون «برل الذي يبدأ به الشعراء قصائدهم» لم «س أن يمدح والده العادل ، وفي
هذه المقدمة يقول :

سليل الموانخي واهتزاز القنا السمر
وصبر الفتى في المأزق الضنك قاذح
وتحت ظلام التقع تشرق أوجه الـ
وما السعد الأحرار كأنهم وإن حتى
ومن لم يوه باسمه الحرب لم يزل
إذا غشي الحرب الموان تخضعت
حلل علاء لولا المظلم أمجزت
هائل وبدد أشرفاً ، قائم لنا

بغيرهما لا يجتنى ثمر العسر
وإلكه أهدى طرس إلى العسر
شما وجمع الخدي ورفقة الوسر
جهول ، وفضل الصدر في سعة الصدر
وإن كرم آباؤه خامل الذكـ
وقد لاحت عن فتحة في المدا بكر
طراقتها الأملاك بمس أي بكر
إلى الله إبقاء الللال مع البدر

ملك إذا ما جال في متن ضام
علم تصريف القفا ، فراحه
وما مثل^(١) من أسد حن^(٢) بإسل
عرب إذا احتار الأسد بيله
بوا . محاماه الأسود ، ماه
بأعظم منه في القلوب مائة
فلا وزد من بأه لملاه

ولو قلت^(٣) كالمصم^(٤) في شامح وعي

ثم يحن ابن عبيد إلى الدالة ، ولعلها كانت مما يحبه المدوحون يومئذ ،
وذلك حين يقول :

ولو حاول الرمح في لأوى سمها

وهدد معي إلى حده من الاستطاف ، وتصوير نفسه عرباً شريفاً ، وقد

أجاد في هذا التصوير ، إذ قال :

مباها الملك المغم . دعوة

عرب إذا ما دلى مصرأ إلى له

له عيبة عن غيركم من فتاعة

نجم لا أبعث في طم سبس^(٥)

(١) مثل . الأسد منه أشبه .

(٢) حن . مأدته من الكوفة

(٣) وعي في أصل . ممد

(٤) لأعظم من حماء . رأى دراعيه أو في أحدهما من ومائره أسود أو أحمر

(٥) عظم وعمر . من مائره القبر

(٦) السب : الفارة

(٧) حم . سار في اصحده وهي عرب النهار عند رول الشمس مع القمر

(٨) الدوية : الغلاء .

أشقى قلب الشرق ، حتى كأي
ويقيح برآن أوتحي من سواكم
ولما عاد إلى دمشق مضى على نهجه مدح المعظم ، ودع في النثر عليه
قريصة . وكان لاؤه في معركة ديباط مثاراً لشاعرية ابن عنيق ، قضى يصف
المعركة ، مرهوا بالنصر فيها ، متباعلي أحد أبطالها ، واعتصم بالعرس ، غير مثلث
عند عزل أو غيره ، معتبرا مائلا .

سلوا صهوات الخيل يوم الوغى هنا
ثم يصف الجيش والمركة ، ويقول :

عداء لقيت ، من ديباط جعلنا
قد انفقوا رأيا ، وعزما ، وهمة
تداهوا بأنصار السليب ، فأقبلت
عليهم من المادي ^(١) كل مفاتحة ^(٢)

دلاص ^(٣) . كقرن الشمس قد أحكت وصنا ^(٤)
وأطعمهم فينا غرور ، فأرقلوا ^(٥)
فما برحت صر الزماح تنوشهم ^(٦)
سقيهم كأسا ، هت عنهم الكرى
أعد صبروا صبرا جيلا ، ودافقوا

(١) للادي : المرح الآلية السهلة .

(٢) لمفاته . الشرق : واسعه

(٣) درج دلاص : ملهه له .

(٤) ومن الذي : بني معه على من . وصده

(٥) أرقل : أسرع .

(٦) اشلوش : حو

ويستحل الشعير المأمة الحسة التي عومل بها العليبيون ، ووراث نبي
هذه المأمة ، ومن ما كان منظر أن ما عساه العليبيون ، لو أنهم كانوا هم
المتصدين ، ويقول :

أقوا الموت من روى الأسة أحرأ	فألقوا بأيديهم يلبسا ، فأحسا
وما برج الإحسان مما سحبة	وراثها عن سيد ^(١) ، فاشا الأنا
محبنا ما يأم حواء حديد	وماشوا بأعماق به لالة متا
ولو مدكوا لم يأنوا ^(٢) في دما	ولو ، ولكم ملكنا ، فأسحب ^(٣)
وقد حاربونا فنبها في وقاس	نم عمر ^(٤) الفوم ماسها الطما
وسم من ملك قد شددنا ساره	وكم من أسيرة من شقا الأسرا أطلقنا
أسود وعى ، لولا فراغ سبوعنا	لما ركبوا قيدا ، ولا سكنوا سجننا
وكم يوم حمر ما فقا ، همبر	يسر ، وقر ما طلبنا له كنا
فإن هم الملك في شصه اشما	ينال ، وحلو المز من مره يحيى

والشعر كما ترى مره والامر ، فخور به ، وإذا كان عدائنا أدها العدو
من صروب الصر ، وحسن الدفاع ، وما في هذا الجيش من ملوك ، فإن في ذلك
معال فخر الجيش المملوك ، يد بتصر على مثل هذا الجيش المرموم ، المحسن بالدرع .
وأنقل بعدئذ إلى مدح للمعلم عيسى ، قال :

يسرنا من آل أبوب ماحد	أى عمره أن يستمر به منى
كريم الثما ، عار من المار ، ناسل	حبيل الحيا ، كامل الحسن والحسى

(١) صد جمع صد ، وهو أثنان حتى كانه من لك والأمة

(٢) م أنلوا : م يصبروا

(٣) الإسه : حبس ليعفو

(٤) الأمر من لم يجرب الأمور

لعمرك ، ما آيات عيسى خفية
 سرى نحو دمياط بكل صيدع
 فأحلى عذج الروم عنها ، وأدرحت
 وطاهيرها من رحمهم بحمامه
 مآثر مجد ، خلقتها سيوفه
 وهي الشمس للأقصى سناء ، والأدنى
 نجيب ، يرى ورد الوعى المورد الأثنا
 قلوب رجال خالفت بعدها الجزا
 هام يرى كسب الدنيا المنعم الأسى
 مواقفها فيها ، فإن عاودوا عدنا
 وهكذا حتم القصيدة مهدداً متوعدا ، كما بدأها معتقرا مرهوا

وسئل في ذلك ، أخرى بلاءه في مركز دمياط ، وقام به من حماد
 العريخ عند القيرون ، حيث أرسله أبوه العدل ، كى يشعل العريخ عن دمياط ،
 وهناك ظهر منهم لظلم وهرمهم ، وأراد أن يقاتلهم ، فمطمع الهم من العريخ
 واتهم عليهم ، وابن عيسى ، حل ذلك لا ترى هذه القصيدة الى يقول فيها :
 ومستمع عنا ، وما من جهالة
 وأدكرته أيام دمياط دسا
 وحشاً حليماً ، رعد مدود
 وقد شرفت ردى الأسمة بالدا
 وعمر دلا كل مرر^(٢) مامس^(٣)
 تركناهم في البر والبحر لمة
 ويوماعى القيرون^(٤) ماجت متوة
 ثرا على الوادى وهو مأ أعزة
 ورماد لود لأرض البص والقنا
 كشت القطاعة ، فزال ارتياحه
 وبس الهدا ، والوت تهوى عقابه
 يحبس من الأعداء غلب^(١) رقا به
 وأكر حد الشرقى قرابه
 ونكب إلا كل ذاك نصابه
 تقاسمهم حيتاه وذابه
 يزدق أعاديه ، وغصت شماه
 لكل أحي بأس منيع حفا به
 فذل لنا من كل قطر صماه

(١) - عن كمرج علفه علفه

(٢) - الدهر شطاح .

(٣) - الناس : الماسر .

(٤) - القيرون ، حصن دة الرمة .

عكم أمرد خطاً الحمام عداره
وكم قد رلما نثر دوم أعزه
وكم يوم هول صاق به عالما
يسير ما تحت اللواء ممدح
ومرج صيق السكر عتا طعنه
وأصبح وجه الدين بعد عروسه
جهاد لوجه الله في نصر دمه
حبث حتى الإسلام فالدين آمن
وما يعني إلا تفاؤك سالماً
وكم أشيب كان النجيع حشاه
فلم ترتحل حتى بداعي حراه
صبر ما له ، ولأوت يحرق نياه
كريم السجما دهرات نياه
وشتت نمل السكر عا صراه
طيقاً ، ولولاء طلال اكتناه
وفي ساعة الله العزير احسابه
تذاد أقاميه ، ويحشى جنايه
لذا الدين ، لا مال جزيل آياه

ومما عرصدته بنين أن ابن عيين أحد في أكثر ما مدح به الملك العظيم ،
ويظهر أن أكثر ما اسرعى نصره من بين صفات العظيم هو شجاعته في ميدان
القتال ، فأحد حياً بسور هذه الشجاعة ، ويصرب بعض أهل اتي تبرها أمام
أعيان واسطة بحمة ، وحيا يشيد بالمارك التي بدت بها هذه الشجاعة ،
وأبلى خير نلاء ، عاد على الإسلام فائمين والعوكلات .

وأشاد ابن عيين ببعض صفات العظيم الأخرى ، كالخود ، ومسح الرأى ،
وإن كان ذلك قليلا .

وكان العظيم يتفق في شاعرية ابن عيين ، وبراه حديراً أن موى الموضوع الذي
يسكلم فيه حقه ، فكان بكل إليه أحياناً أن يسور مسطراً ملك عليه نفسه ،
وكانما يريد تسجيل هذا المظهر حتى لا تصيب عليه ذكراه .

حضر مرة مجلس الملك العظيم بدمشق ، ومملوك خاص قائم بطله من الشمس ،
فقال لابن عيين : قل في هذا شيئاً ، فقال :

وعسى بأن قلوب الناس قاطعة مه على خطر ، بن ماس أو خطرا

بدا ، وأبدي برؤاه لنا قرا
فيه من الحسن ما للعقل قد قرا^(١)
هو التفرال ولكني عجبت له
من الفزالة إن زارته ، أن فقرا
وطال مستعراً مهبها ومهجها
عنها ، ونورها في الناس قد ظهرا
هملت حشك ، لا نحش اجتماعها
فالشمس لا ينفى أن تدرك الفقرا

كما كان هذه الماصر داود وثق في هذه الشاعرية ، ورأى فيها خير ما يستطيع
أن يصر عن آلامه يوم وثق به أح سمر ، وأمل الحن ألح كما ألجم أيام العظم ،
ولم يستطيع ربه ، هذا السمر ، وصر عن وحدها ان عمن ، عندما قال على لسان
الماصر داود ، معناه عن عجزه براه أحداث الماصر التي لا يستطيع فهمها
قوته وأسرته .

هدكت أرحوان ، كور ، قاسي
واراك في يوم غي ومسر
في انقضاء احد ما أمك
خاتفي الأيام فيك فقررت
ورمتني الأقدار منك بلوعة
لحق عليك لو ان خلفاً نافع
قد أسعدتني بعد هتك أدمع
وعدمت بمدك لفة الدنيا ، قد
أقيت في كبدك عليك حرارة
فنتى ضربك كل دان مسل
حتى ترى عرصات قبرك وروضة

في حفص عيش ، أو لقاء أعادي
قلب الخيس ، وصدر أهل التادي
فيه ، وأرهف حده لتادي
يوم الردي من ليلة الميلاد
مات توحج في صميم ، وادي
أو نافع حر الفؤاد الصادي
درف ، وحام^(٢) الصرع إسماذي
أنصتها ، حتى نسيت رقادي
تبدو لأهل الحشر يوم معادي
متواصل الإراق والإعاد
موشية ككوشائع الأبراد

(١) قره عك

(٢) حام عه - سكس وحس وأسطه : أعاه .

لقد مضى ، وما كنت حطشة وتركت دار بلية ومهاد
وسكنت دارا ملكها لك خالد وتركت دارا ملكها لمهاد
وقد أحادس عيني في التعبير عن شعور الأخ الواحد عند فقدان أخ كان
يؤمن أن يشده به عصفه .

استندت السنة بين أس عيني ، ملوك المعظم ، وحفظت لنا شعره حسناً إلى
الملك المعظم ، عندما ار مصر ، وكان شاعره في ، مشى ، وكتب إليه الشاعر :
نخبة مشتاق بيد مراره أن شوقه أن يستقر قراره
بدا دجلة مرت به قهربة دك في الخشاع الخواص ناره
وما شام من أي اتعلم حصة سنا مارق إلا ، لست بمضاره (١)
أحن إلى مصر ، ولست أن لي يا دكرت مصر حناها أعاره
قوى إلى طل طرد ، وناكي حريل ، وملك حالف المر جاره
وحفظت شعره كثيراً من الملاحظات التي كانت تجري بينهما . كتب إليه
مرة ، ولعله قد ساء أن يقدم عليه عيره عند الملك المعظم ، استخدم
اصطلاحات الجوع ، وكان المعظم من رحانه الحميم للراسته :

كأني من أحبار إن ، ولم يحمر له أحد في الجوع أن يتقدما
عسى حرف من مذكاء بحرثي ليك ، وأصحب من رساني مسألا
كما استخدم هذه الاصطلاحات ؟ الرسالة التي كتبها إلى المعظم ، عند ما مرض
الشاعر ، وقد أدرك ممراها ، وسى أن أوردنا هذه الرسالة .

وكتب إليه مرة وقد كثرت عليه الصوف :

بارك الله ، أعطى الناس ما سألوا سموأ ، وكال لهم ما زائد الوافي
ماجد لله شكراً ، يا بني رحل ما بارك الله لي في غير أسياي

(١) قطار : جم قطرة .

وانشده الملك المعظم هذا البيت لمرآة الإسلام :

أى شيء أراد حقاً فبيساً حال اعوجج في الزمن استقاماً
فأجابه بديها ، وصرح بالحوادث :

أيها السيد الذي جعل الشر لك خطاماً ، وشيد الإسلام
قد أتاك الحوابع ، لأنك فيه فأنجمتني المشكلات إماماً

وحضر الضمراء عند الملك المعظم ، وفيهم ابن عيسى ، فقال لهم : لا بد أن
نجهزوني وحملهم ، فقلوا لأرضي ، واستمعروا من ذلك ، فقال : لا بد من ذلك .
وألح عليهم ، فتقدم ابن عيسى وقال :

نحن قوم ما ذكرنا لأمري . قط إلا وانتهى ألا يرانا
... بنا مثل الخراف ، دقت الحرا سمع الله به أسئل لحنا

ولما مات المعظم تكلم ابن عيسى أحسن تكلم ، ورتنه رثاء ، قوماً كما سبى في
فصل فادم ، وشمر كأنه سار بتمنا فقد أتاه . وقد عبر عن هذا الشعور عند ما سأله
رجل من أهل دمشق شاعرة إلى الملك العزيز عثمان ، بعد وفاة الملك المعظم أخيه ،
فكتب إليه :

عديماً علينا يا عزيز ، فإسا بعد المعظم عندكم أيشام
ولأت حير الكافين ، فلا تدع أتمامكم يا من الكرام تصام

ولم يرق ابن عيسى ما آل إليه أمر دمشق بعد وفاة الملك المعظم ، فقد فتحها
الكامل محمد ، وأعطاهما أخاه الأشراف موسى ، وقال ابن عيسى :

وكما زحى بعد عيسى محمد لينقدنا من لاج العر والبلوى
فأوقفنا في نيه موسى ، وكلمنا حيارى ، ولا من لاينا ولا ساوى

ولما بلغ الأشرف ما قال فيه ابن عيين ، قال : إذا لم تكن عدي من ولاسلوي
معد من ؟ وأمر قطع لسانه ، شاف ابن عيين أنه ما قال هذا ، فقال الأشرف
ما أفلت من لسان أحد ، ولا بد من قطعه . هرب ابن عيين ، وسكت
الأشرف عنه .

وهكذا لم يستعد ابن سبي بالإقامة في دمشق ، بعد موت أبيه بالمطعم .

وفاته

كان المعظم قد جهر الحمد إلى فارس ، ليكون بالمرصاد للامير ملوك العاصمي
فردريك الثاني ، الذي كان يعمل على عقد معاهدة مع الملك الكامل بأحد ثقتها
بيت المقدس ، ولم يكن المعظم راضياً عن مثل هذه المعاهدة ، وأعد الخدي لإحباط
تفديد كل معاهدة من هذا القبيل ، ولاكن المرض ألم به ، واشتد عليه
(الدوس - طاريا) ، وأسمعه عن النهوض ، وبدأ الموت يطل من عييه . فابوا
ولم يترك المعظم صلاة إلا أداها ، حتى لقد كان يتيمم لكل صلاة قبل وفاته ، وما
لم يستطع النهوض للصلاة قبل بالإيماء . وكان شديد الثقة في أنه سيلقى حمد الله
حبر المنة ، على ما قدم من جهاد في سبيله ، فكان يقول : « صبح عن النبي صلى
الله عليه وسلم أنه قال : لا يجتمع عار في سبيل الله ودحر جهنم في منجى عدي
أبدا ، وكما في منجى من تراب في سبيل الله » .

وفي يوم الجمعة أول يوم من ذي الحجة سنة ٦٢٤هـ (١٢ نوفمبر سنة ١٢٢٧م)
توفي المعظم عيسى في دمشق . وأقيم له المراء ثلاثة أيام فيها ، واستقبلت رعيته
مساً وفاته بألم بالغ ، واشترك في الحزن عليه الرجال والنساء ، كما سبق
أن ذكرنا .

ورثاء الثمراء ، فكان من ذلك ما قاله فيه بعض أصحابه ، وهو بحسب
الدين اليفندادي :

نفس ودرت فلان الخائن في الثرى برآل ، ثا ، حدى عليك يبال
ومدعت عى ما ظهر مصاحب أحي ثمة إلا حطرت يبال
وقول مصمم :

عسى كيمى كان إذ شاهده يحى بداه صيب وقر مدفع
دوسه في الأرض التي شرعت به محسب كيف رلى السما لم يرفع

ورثه : اعلم ان عيسى ومسيده مأكية ، مرجعها آلامه الشخصية ، وآلام
شعبه ، وآلام الأمة للإسلامه التي كانت ترى فيه خلاصاً من أهلل الإسلام
المدافعين عنه ، والذين كانوا يحى في صدر المسلمين ، وسجل فيها ما كان
محمياً من صفات المعظم ومجده ، وما هو ذا يبدأ بمسيده بدءاً فيه ألم
وحيرة ، إذ قول :

يادهر ، ويحك ! ما عدا ما بدا ؟ أرسلت سهم الحادثات ، فأقصد (١)
أعدت ميماً مرهقاً ثمرانه قد كان في ذات الإله مجردا
فاهل بمجده ما شاء ، فإبى بعد المعظم لا أبالي بالردى
ما حدثه بهي ، وأبى بعده ما مؤس عيشي ، ما أمر وأكدا
لهي على بدر صيب في ترى رمس ، وبحر في صريح الخدا
أقيت لي يادهر بعد فراحه كدا مفرحة ، وجعنا أرمدا
وحوى روجع بين أناء الحشا باراً ترايد بالدموع وعدا
لو كان خلق بالكارم والتقى بقى لكان مدى الزمان محلدا

(١) أقصد السهم : أصاب ، قتل مكانه .

شقت عليك سر أليك الأ كندا
 طلى عادت الوشبح ^(١) بقصدا ^(٢)
 من آل أبوب الكرام لك العدا
 وخرقت حتى بال ^(٣) وسم ^(٤) ذا ^(٥)
 إلا شهور لأعوجة ^(٦) مرقد ^(٧)
 سزائم نبتت من السمدا
 حلل وكان حواء قبل العدى
 مهمت سحائها عليها عسدا
 إلا وكانت له إليها مرشدا
 جار الزمان على بسدك واعتدى
 من كان زارك بالمداخ منشدا
 مر ، وقد عاف السكاة الوردا
 ذلا ، وكان الطاغى النمردا
 منه الخطا من بدأشقر أجردا ^(٨)
 من حوزة الإسلام عاد كما بدا
 عن نصرها لتفككت فيها العدا

أو كان شق الحب ينفذ من ردى
 أو كان يرمى عليك دوح بالما الحـ
 ولقد نمت أن تكون نوارس
 أمكيت حتى نثرة ^(٣) وطمرة ^(٤)
 كم ليله قد دت دها لا ترى
 تحمى حى الإسلام متحصراً له
 ولرب مالهوف دعاه لحادث
 واطالما شيعت بوارق كفه
 ما ضل نهر عن حجة قصده
 يمالكا من بسد فدى وجهه
 أمزج على بأن يزورك راتبا
 كم مورد ضحك وردت ، وطعمه
 وعزير قوم مترف سربله
 أركبته حلقات آدم ^(٨) ، نصرت
 لولا دفاعك بالصوارم واقنا
 وديار مصر لو ونت عزمانه

- (١) الوشبح - شعر الزمخ -
 (٢) بقصدا - مكراً
 (٣) نثرة - شريح السكة للبر .
 (٤) طمرة - ترس .
 (٥) ذا - على القفا الرقى .
 (٦) انبت - النبت .
 (٧) الأعوجة - الخيل .
 (٨) يريد بآدم نقيذ
 (٩) الأشقر الأجرد : المولود .

ولأمتست اليص الحرائر أسهما
ولأصبيحت حيل العرنج مبعده
وشمر دباط ، وكم من يسة
أقدتها من حصه الحب الى
أحليت ليل الكرم عبا ، فابلوى
واقسم شهدك يوم فساريه
والكرم معصم سور ، شرف الأ
ثملت عاتب مكان أساسها
ثم ابحه إل ولده الله الناصر داود يشا من أدبه ، وتجد فيه العروس من
أبيه ، فيقول :

هل الأعداى إن قدما ريدا
الناصر الملك ادى أمى - و
أعلى الولد عتلة ، واسددهم
ماضى العريضة ، لا يرى في رأيه
يقط تكاد ربه توف وسكره
والحق أن عبيدة ابن عس الى رنى بها اعظم ، قوية بحكمة السج ، لا يكاد
القد يحد فيها مأحدا يده به إليها ، وذلك إن دل فاما يدل على صدق في إحساس
الشاعر ، وعاصمه قوية ما كت عليه ، وتقدير لهذا المليك الذى يرثيه ، وقد سور
عواطفه إراء وقد سوراً بشمر ما غا أحس به الشاعر من ألم ولوعة لعقد مليكة .

(١) اصعب - متدد ، وكفى - مومع ، أسعل - مكة .

(٢) الصعيح - حجار عراس وبقيد .

(٣) أشله - انصر .

وكانت الصدمة البارزة التي استولت على نفس الشاعر ، مثل كل جهده في تصويرها ، هي بطولته في الدفاع عن الإسلام دفاعاً مجيداً ، فتخييل لمثل سبغ مرهف الشعراء بمجرد في ذات الله ، وتصوير وسائل الجهاد من حواد قوي كان يمتطيها ، ودرع كان يلمسه ، وقناه كان يضرب بها ، وسيف كان يحارب به — حرية على فراقه ، بأكية على فقهه .

ومثل ما سنده له مؤرخوه ؛ من أنه وهو في ميدان القتال ما كان بيت إلا متاهاً للحرب ، « وزرديته معدته » .

وأشاد ابن عني تماماً بمثل العظيم من جهده في إمارك التي التي بها بالفرنج ، معنى دمياط كان له أثر حميد في إغادها من حملة الحلف التي تردت بها عندما نالوها المربع ، وفي قسارية حطيم العظيم بهاها ، وسجل عليه أساطله ، وصور الشاعر عودة الإسلام إلى دمياط بالمرور بمود إلى رحابها ، حد أن ملوى ليل الكفر منجأها عنها .

ولم ينس ابن عني أن سجل تقواه وكرمه ومروءته في إجابة المصطر الماهوف . وسدو من التسمية أن الشاعر كان يسمي حيماني عواطفه الشخصية ، فيكي العظيم من ناحية الحسارة التي مني بها ، فقهه ، ثم يتجه ممدوراً ما أصيب به السدون من حسارة ، ثم لا تلت أن تطلق عليه مرة أخرى عواطفه الشخصية ، عواطفه الجماعية ، وهكذا كان يستقل بين هذين العاطفتين .

ورثي العظيم كذلك على رموس الأثهاد ، في جامع دمشق المؤرخ الواعظ سبط ابن الخوزي ، وقد غلبه البكاء والتأثر عندما أخذ يرثيه ، ولم يرد إلينا شيء من هذا الرثاء .

وبعد ، فقد علمت صفة الشجاعة فيه ما عداها من الصفات ، فكانت حياته للدين ، وجهاده للفرنج أظهر ما مدح به ، وما سجل فيه من رثاء ، أما غيرها من

الصعاب الأخرى ، كدبير طيبه ، وعلمه ، وحسن محبته ، شيئا لم يسجد له الشعراء ،
 ومن لمحو إليه أحيانا ، ومما راود ثوبيا في عصر كان الأمل الأدب فيه السليم
 أن يجدوا في ملوكهم أملا لا يتودون عن حكامهم . وردون الأدباء ، ويحيطون بهم
 بالأمس في أوطانهم ، وأمل هذا هو السبب الذي لم يشهد فيه الشعراء ما بقي حقيقته
 اللامعة ، ورأى أن يد بعض الشعراء بها . ولكن لم يصب إليها شعراء . لأنه لم يرد
 إليها جميع ما قاله الشعراء في المثلث .

ويدا كان الشعر لم يصل إليها ، من المؤرخين مد أعجبوا به ، وسجدوا لها
 الإعجاب في كتبهم ، وسوف تعرض لها بعض ما كتبوه .

من أقوال مؤرخيه

قال عنه - بطاين المؤرخ في كتابه صراء الزمان (٨ : ٢٢٥) « لعالم ،
 الفقيه ، المصل ، المجاهد في سبيل الله ، له رأي ، له حوى ، له قوى ، وما كان
 يفهم وزن الشعر في بعض الأوقات ، فكأن أقول له : عليك - حرب من النبوة -
 وما علمناه الشعر . وكان شجاعا مقداما ، كثير الحياء ، مواظبا ، مباح الضرورة ،
 محسوبا ، عيورا ، حوادا ، حسن المشورة ، محضيا على الدجوة والودعة محسبا
 إلى الرقة ، دائما عن حريتهم ، رفيقا بهم ، حرب صديقهم وكبيرهم » .

وعلى في كتابه عن الملك الظاهر صاحب حلب أنه قال له . والله هو واسطة
 القدر ، وعن القلافة . وعن الملك الكامل صاحب مصر أنه قال له أيضا : ومن
 حبط على البلاد وأحياني بعد الموت عمره ؟ يشير إلى حادثة ابن الشطوط . وقد
 شرحناها فيما مضى .

وقال محمد بن سالم بن واصل صاحب مفرج الكروب (٢ : ٢٤٦) : « كان
 ملكا حايلا شجاعا ، شديد الناس ، مهيبا ، .. عالما ، فصلا ، متفيا في الفقه والتفقه » .

وعبر ذلك . . . ولا وقف على تاريخ بغداد القدي صنفه الشيخ الخافض أم بكر أحمد بن ثابت ، وفيه مطاعن على أبي خزيمة رواد الخطيب عن جماعة من محدثين ، رد عليه الملك المعظم في ذلك ، وصنف كتاباً باسم المصنف ، رد على الخطيب . وأجاب المعظم في هذا الكتاب عن كل ما ذكره بأحسن جواب ، وذكر فيه مباحث حليلة ديمية في لغة والنحو ، ووقفت على هذا الكتاب بائس اشريف ودالته جميعه ، ووجدته في ماله الحسى . ولما قدم الملك المعظم القدس سنة ٦٢٣ هـ جلس خارج المعتزة الشريفة ، واستدعى جماعة ائمه . وباحثهم في مسائل فقهية ومخوية .

وقال انه في تاريخ الإسلام (- وادت سنة ٦٢٤ ص ٨٢) : « ومرض الملك المعظم ، فعصى وأخرج أسودين ، وأعطى الأشراف ألف عرارة ، وتصدق على ائمه والمصريه وعبره ثمانين ألفاً وستمائة عرارة ، وحلف من بالمصريه لولده الناصر ، وأشهرى ابن دويدان حمداً أمير المعظم ألف دينار مصريه ، وأحصها ، فأمر بالصدق بها بالعدل ، « ردحم » على ذلك . ثم مات ووري ابنه السكينة والمليك وطموا في لأسواق ، وقرأ المحدث في امره « يا داود ، إنا حملناك خليفة في الأرض » : « فمجد الناس »

وقال الميرى في سباه الأرب (٢٧ - ٣٠) : « كان شجاعاً ، مقداماً ، كثير الجاه ، متواضعاً ، حسن الصورة ، محوكة ، عموراً ، حواداً ، حسن المشرة ، محافظاً على المسحة والموده ، ولا يقطع الا شمال بالقرآن ، والجامع الكبير ، وسنويه . وكان يركب في كل يوم ثياباً ، فإذا رل مد البسط ، وإذا أكل الناس أصب لقضاء الحوائج إلى الطهر » .

وقال أحمد بن محمد الفيوي في كتابه شر الحان (٢ : ٤ ب) : « كان فقيهاً ، عالماً ، « صلاً . جمع بين فضلى السيف والقم ، ورياضى العلم والعلم ، وحاهد في

سبل الله تعالى - وكان قليل التكاف حدائق غالب الأوقات ، لا يركب بالسباحة السلطانية ، ويركب وعلى رأسه (كاوتة) سوداء ، بلا شاش ، ويحترق الأسواقي من غير أن يترك يديه ، كما حرت عادة الملوك ، ولما كثر هذا منه ، صار الإنسان إذا فعل أمراً لا يتكاف له ، قال : قد فعله بالعظمى .

وقال المصنف في كتابه الوافي بالوفيات (ج ١ - القسم الثالث من ١١٤) : « كان عديم لآلته إلى ما رغب فيه الملوك من الانتفاع بالأسبغة والمطعمه » . وقال ابن حلسكان في زوهاب الأعيان (١ - ٣٩٦) : كان على المهمة ، حارماً ، شجاعاً ، مريباً ، دسلاً ، جامعاً لثمل أرباب المصائل ، محالماً ، وكان المظم يحب الأدب - كثيراً ، ومدحه جماعة من الشعراء الجيدين فأحسبوا في مدحه ، وكانت له رعة في فن الأدب - وقيل : إنه كان قد شرط لمن يحفظ الفصل المبحثى مائة دينار وخدمة - ولم أسمع مثل هذه المنة لمير .

وقال صاحب المجوم الزاهر (٦ - ٢٦٨) . « أطلق أبو المظفر عثمان القلم في مدان محاسنه ، حتى إنه ساق رحمه في عدة أوراق في صراة الزمان . قلت : وصحني له ذلك ، فإن المظم كان في غاية ما يكون من السكالي في عدة علوم وفنون ، وهو رجل من أرباب وغالهم بلا مدامة ، ومحاسنه أشهر من أن تذكر » .

وقال ابن الأثير في كتابه (١٢ - ٢١٨) : « وعق العلم في سوقه ، وقصدته العلماء من الآفاق ، فأكرمهم ، وأخرى عليهم الحرمان الواقعة ، وفرهم ، وكان يحالهم ، ويستفيد منهم ، ويعيدهم ، وكان يرجع إلى علم وصبر على سماع ما يكره ، لم يسمع أحد ممن سمعته منه كلمة سوء ، وكان حسن الاعتقاد » .

وقال أبو شامة القدسي في دين الروصين (ص ١٥٢) . « وبالطه ، فترد من بين المورث بالجمع من مواظبة التور ، والاشتغال بأنواع العلوم ، والحج إلى الحرمين

نفسه ، وإيمانه غيره عليه ، وكان عديم الالتفات إلى ما يرغب فيه الملوك : من
الأسبحة والتمغيم والمدح وغير ذلك » .

وقال ابن كثير في البداية والنهاية (١٣ : ١٢١) : « كان يحب العلماء ويكرمهم
ويجتهد في متابعة الخير ، وأوصى عده وصيه ألا يكمن إلا في البياض ، وأن
يلجأ له ، ويدفن في الصحراء ، ولا يسي عليه ، وكان يقول : واقمة دمياط أدرها
عند الله تعالى ، وأرحو أن يرحني بها - يعني أنه ألقى بها بلا حساس - رحمه الله
تعالى . وقد جمع بين الشجاعة ، والبراعة ، والعلم ، ومحبة أهله . وكان يحب في
كل حمة إلى تربة والده ، وحاس غليلا ، ثم إذا ذكر المؤذنون بطلان إلى تربة
عمه صلاح الدين ، ويصلي بها الجمرة ، وكان قد ل « تعاطم ، يركب في مص الأحيان
وحده » ، ثم يلحقه بعض غلمانه » .

وقال ابن العبد الحلي في شذرات الذهب (٥ : ١١٥) : « برع في الفقه ،
وكان عديم الالتفات إلى الدوايس وأسبحة الملوك ، وترك وحده صراخاً ، ثم تلاحق
به عماليكه . . وكان من المحماء الأدكياء . ومرض ابن عتيق ، وكتب إليه :

انظر إلى دمين مـولى ، لم يـل
هـلى الندى ، وتلاف قل نـلاق
أما كالندى . أحتاح ما تحتاحه
وعـم تـواى والنساء الرافى

جاء إليه فماده ، ومعه صرة فيها ثلاثمائة دينار ، وقال : هذه الصلة ، وأنا
المائد . وهذه لو وقعت لأكابر الدنيا لاستحسنت منه ، فكيف هذا الملك » .

ولكى يستوفى البحث العلمى ما يجب أن يلتزم فيه من صدق العرص بسمي أن
مشير إلى ما سخره بعض المؤرخين من أنه أحد نصيب من اللهوفى شبابه ؛ وإلى
ما ذكره صاحب شذرات الذهب من أن المظم كان فيه حمر وشر كثير ، من غير أن
يفصل ألوان هذا الشر الكثير ، ولعل أن العهد الحسلى أحد عليه ما لا يوافق

مدحه من تشجيعه لدراسة الفلسفة ، وتمعه اذهب إلى حنيقة ، وما شاء
 ما كفى بيت المدمى عندما دونه الصرور إلى تحريمه ، ومن حبه للميد ، ورعته
 في ثمره ، وقد تحدثنا عن ذلك ونسأله إلى أي فيه ، وما جرى . وقد يكون من
 ألوان هذا الشر استخدامه لابن عيين ، وما فيه في الخفاء قد أحس الناس منه ،
 وكون سده رأيا عاما أحس به الشاعر ، ودونه إلى طلب لإزالة من الديوان

ولما مع ذلك يرى المعلم من الهما والذهوات ، ولكنك تراه برعم ما قد
 يكون فيه من ذلك مثالا رديئا أنك ديمرا على عدم شجع العلماء ووقف نفسه على
 النطاع عن الإسلام ، وحياته في عسكر كان الأعداء ترمسون بالأسلحة المربى المنون .

فريقه

ترك الملك العظيم بعده من البنين أربعة ، ومن البنات تسما ، وقيل إحدى
 عشرة . أما «دود» فقد مات أحدهم سرياً بعده قليل ، والباقيون هم الملك الناصر
 داود ، وهو أكبرهم ، ولد سنة ٦٠٣ هـ ، وملك الميث عند الرير ، والملك الفاهر
 عبد الملك ، وكان له مات له في حياته طيل سمر ، هو تقي رثاء ابن عيين ، وقد
 سبق أن تحدثنا عن هذا الرثاء .

وقد فم الناصر مقام أبيه في ملك دمشق بعد وفاته ، ويظهر أنه كان يريد
 أن يساع سرية أبيه ، ويحمل عهد أمه دارا لهذا العهد الذي عاشه أبوه ، وكان
 جميعاً مثله ، عالماً بحضارته ، مشجعاً على دراسة علوم الأرائل ، أديبا كاتباً
 شاعراً ، يحب جهاد الفرنج ، وعب في نقاشهم ، كما كان أبوه من قبل .

ولكن لم يكده المظلم موت ، حتى تحرك أحواله ، يريدان انتراع دمشق من
 يدي أمه الناصر ، الذي رأى أنه لا قبل له بحرب عميه ، دسم الكامل دمشق ،
 على أن يحدد يدها الشولك والكرك . ولكن أمهاته في أن يمدود يوماً إلى دمشق ،

وان يؤسس ملكا كبيرا لم يماره طول عمره ، وإن كان الرمس لم يسهفه بتحفة بها ،
فإن المظن على تخرج الأمر لأبوية بمد وفاة عمره الملك الكامل يؤسسه ما
استحكم من الخلاف المتبع الذي دار بين ولدي الكامل في شدة وغسوة ، وما
شب من نزاع بين أبناء الأسرة الأيوبية ، فأحد بمعهم بحسن معاش ، وقتل
أحدهم أبناء صاحبه ، وكان الناصر داود من بين هؤلاء الذين اشتبكوا في هذا
النزاع اعتمد على أبناء هذه الأسرة ، غير أنه لم يحسن من تدخله في هذا النزاع
ثمرة ما ، بل اقتد كن عسسه بمد أن ساعد الصالح أبو - أن سبر هذا إلى التام
من أصولي على جمع بلاد الناصر داود ، وحرب ضياع الكرك ، ثم بارك أئاما ،
وقل ما عند الناصر من أهل والدعائر ، وكل ناصر ، فأشأ قصده مات فيها
السلاطنة ، وبأله عند من اليد في المدد عنه ومساعدته حتى ملاه المنار المصرية ، وهي :

فل ندى قاسته ملك اليد	ونهمت نيه سهسه استأسد
عاصب واث رى النجاس اسرقى	وألمب ميك مكارى وتوددى
يا قانع الرحم التي صلتى بها	كست على الملك الأثير مسعد
عمى أولك ، ووالدى عم به	يملو السديت كل ملك أصيد
صالا ، وحالا ، كالأسود سواريا	قارند يسار الفرات الزبد
دع سبب مقولى الدلب يد عن	أعراضكم بقرند المشوقد
فهو الذى قد صاغ ناج حجاركم	بمفصل من لؤلؤ وزبرجد

ثم أحد يصف نفسه وحوده ، ومحاسنه ، وسؤدده ، إلى أن قال :

يا محر حى فائقول ، والله الذى	حصمت لعزته حياء المسجد
لولا مقال الهجر ملك لما بدا	منى اوتجار بالقريص المشد
ين كنت قلت خلاف ما هو شيمتى	فلما كون بسمع ، وعشهد
والله ، ما بن الم لولا حيفتى	لرميت ثرك بالعداة الرد

الكنى عن يحاف حرامه ندما محرعى رهام الأسود
فأراك ربك بالهدى ما ترعى نراك فعل كل فعل مرشد
لتميد وجه الملك طلقاً صاحكا وترد مثل البيت غير ممدد
كى لا زى الأنام بيا فرسة الخارجين ، وصحكة للصد

وانتهى المطاف به الشاعر ما كفى الكرك على يد ولديه الملك الأحمدي
حسن ، والله الظاهر شادى ، من غير أن يكون لأبيه رأى ، السورول عن
الكرك ، بل كان عائلاً في مداد ، حتى مارل أساء عنها ، وألهمها كاه يردان
أن يقبا في مصر ، ولكهما أسا منها ، ولهمها انتهى ما عرفته من دوية
المعظم عيسى .

ومخطط التاريخ لأبيهما الشاعر داود مكرمة دارت به ، وبين المرنج ،
سنة ٨٦٣٨ ، وأصر عليهم فيها ، وعم به أمداء كثيرة .

وبذكر أنه مضى إلى القدس ، n . مائة من يد المرنج . وكان الكامل قد
سلمه إليهم ، وبذلك مدحه الشاعر ابن داروخ فقال :

المسجد الأسمى له عادة سارت ، فصارت مثلاً سائرا
إذا دعا للأكرم مستوطنا أن يبعث الله له ناصرا
فناصر طهره أولا وناصر طهره آخر

وقد أرح للناصر داود الله الأحمدي كتابه نبي لما إلى اليوم دعا :
الفوائد الدرية في الفرائد الناصرية ، وقد قسم الأحمدي كتابه فمين ،
وصدوره بمقدمة .

أما المقدمة فذكر في فصل منها أبيه ، وقد أكد في هذا النسب أنه يتحدرو
من العرب من ناحية أبيه ، وإن كان في أمهاته كرمات وتركيات .

وفى الفصل الثانى تحدث عن مآثره وكرم حلاله .

وأورد الأبيجد فى القسم لأول شيئاً من تراثيه خطأ ورسائل . وفى القسم

الثانى ما جمعه من شعره .

ومن أطرف ما روى من تراثه : قصة مشروب ، يباع به داء القنوب وهو : الله الشافى لبطمه . شراب مركب نافع ، تشاربه يوم ارفع الأكر شافع :
 ووجد من مدحكم مرير الصبر ، وما احلولى من لئيد الذكر ، فعربلان
 بعربال التسكر السهرى ، ويدهن^(١) داء امين الطرى ، ثم يعنى المجموع طباب
 العلم الجردى ، ثم يعنى : سل الحمة الإلهية ، وسعوف الشوق القدسية ،
 و طيب نأفاه المـزائم المصادفة ، وأما رير انرايح الساعة ، إلى أن يظهر
 فى السنة الاول لهه . ويبقى فى شهره الحد طله ، ويصح بعد ذلك بسكر
 الإخلاص والمصادفة ، وماء ورد اللارمه والرواقه ، طبعاً يظهر فى الأحكام آثاره ،
 على طباب لم تحرمت أنواره ، وتستعمل بمروحات ماء دموع حركه ، على ما أحرمت ،
 وحرمت ، على ما حرطت ، مد الحمية النامة عن موارد الشهات ، والتعصب عن
 دواعي الشهات ، والتقىدى مما لا يوجب التذمات ، إلى أن يظهر فى قارورة القلب
 استدارة الاعتدال ، ويذهب عنها رسوم الخيرة والخلل ، لعله بعد الإرادة الإلهية
 يوجب الحياة الدائمة ، ارمى موسى بحلال ملكوته هائمة ، فيوصلها عين الراوى
 المقدس سالمة ، لتبقى على متدفق سهره هائمة ، ذا ثمرات من كثره صفت عيشتها ،
 ودام أسما بدوحة بهجتها ، وعدت تعرد على عصون السعادة الأبدية ، سنات
 متعنة النسب إلى الدار الأبدية ، بما مدهه من تعديد سمات حلاله ، وزجيج
 عجائب فضله ، الدالة على كماله ، وهى مختلة فى حلل الكرامة ، متوجة بتاج البقاء

(١) القنوب : الخلط .

في دار المعامة ، حيث الطل ملال ، والنائل جويل ، والملك الحق تكرامة وعنده
قائم وكميل ، برصاه لهم بمم المؤئل والقيل .

نامن هجرت له الأهليين والوطنا وسارمت مقلتي في حبه الوسنا
لأشكرن احتفاداً ، كان آحره ماقلد الحيد من لبقائك الملبا
فاسمح قريك للمفس التي حكمت لها نطال أن تحيي نك الزمنا
وهو أوليت لا يختلف عن أسلوب عصره دمدم بالجمع .

أما الشعر الذي رواء له ولده عرسه على عشرة أبواب : الأول في الإنهيات
والزهديت ، وثاني في النسيج ، ووجه الحاسة والعبج ، والثالث في عتبات الأشحاب
والإسعاد ، والرابع في الأرق ، والخامس في الشوق إلى الإخوان
والحميم إلى الأصدقاء ، والسادس في النسيب ، والسابع في الغزل ، والثامن في
الخرجات ، والتاسع في الطرديات ، والعاشر في النثر ، وذاك يدل على سعة الميدان
الذي جرى فيه الماصر . وقد أوردنا بعض شعره ، ومما قاله

قلبي وطردك قال وشهيد ودي على حديث منه وشهود
نابها الرنثا الذي لحظاته كم دوسين سوارم وأسود
ومن المعائب أن ذلك لم يكن لي : والحديد آلاه داود

وتوفي الماصر في جمادى الأولى سنة ٦٥٦ هـ ، ودفن عند والده الملك المظفر .
والحمد لله الذي هدانا لهذا ، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

دخلت الحاميات في { ٢٨ جمادى الآخرة سنة ١٣٧٢ هـ .
١٤ مارس سنة ١٩٥٣ م }

مراجع البحث

أحمد أحمد بدوي :

- ١ - الحياة النضالية في عصر الحروب الصليبية وعصر الأندلس (مطبعة مهمة ، مصر).
- أحمد بن عبد الوهاب النوري ، الدوى سنة ٧٣٢ هـ .
- ٢ - مهانة الأثر في فنون الأدب (مصور بدار الكتب ، رقم ٥٤٩
معارف عامة) .
- أحمد بن علي ، الحبيب الزمادى ، التوى سنة ٤٦٣ هـ .
- ٣ - تاريخ مدد . (مصر سنة ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م)
- أحمد بن علي المقرئ ، التوى سنة ٨٤٥ هـ .
- ٤ - كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك .
- تقديس الدكتور محمد مصطفى زيادة . (القاهرة سنة ١٩٣٩ م) .
- أحمد بن إقاسم بن خليفة بن أبي أسامة ، التوى سنة ٦٦٨ هـ .
- ٥ - عيون الأساء في طبقات الأطباء . (المطبعة الوهية سنة ١٨٨٢ م) .
- أحمد بن محمد بن حلسكان ، الدوى سنة ٦٨١ هـ :
- ٦ - وفيات الأعيان (المطبعة الميمنية سنة ١٣١٠ هـ) .
- أحمد بن محمد بن علي العنبري ، التوى سنة ٧٧٩ هـ :
- ٧ - نثر الحجاز في تراجم الأعيان . (مخطوط بدار الكتب ، رقم ١٧٤٦ تاريخ) .
- إسماعيل بن علي بن محمود بن عمر . الملك المؤيد ، التوى سنة ٧٣٢ هـ :
- ٨ - المختصر في أخبار البشر . (دار الطباعة بالآستانة سنة ١٢٨٦ هـ) .

جعفر بن ثعلب بن جعفر الأدعوى ، التوفى سنة ٧٤٨ هـ

٩ - الطالع السعيد بحام لأسماء الصغلا ، والرواء بأعلى الصميد .
(الطبعة الحالية سنة ١٣٣٢ هـ - ١٩١٤ م) .

الأعد الحسن بن الباصر داود بن المعظم عيسى :

١٠ - الموشاة الدرية في العرائد الناصرية ، (مرسوم بدار الكتب ، رقم ٢٢٩٣ - أدب) .

حليل بن أبات الصغدي ، التوفى سنة ٧٦٤ هـ :

١١ - تذكرة الصغدي (مخطوط بدار الكتب ، رقم ٤٢٠ - أدب) .

١٢ - الواو فانوميات (مرسوم بدار الكتب ، رقم ١٣١٩ - تاريخ) .
حيدر الدين الزركلي .

١٣ - الأعلام (الطبعة العربية عصر سنة ١٣٤٥ هـ - ١٩٢٧ م)

عبدالحى بن أحمد بن محمد المهر الحنبلى ، التوفى سنة ١٠٨٩ هـ :

١٤ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب (على نشره حسام الدين المقدسى سنة ١٣٥٠ هـ) .

عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى ، التوفى سنة ٩١١ هـ :

١٥ - نية الوفاء . (طبعة السعادة سنة ١٣٢٦ هـ) .

عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسى ، التوفى سنة ٦٦٥ هـ :

١٦ - الروستق فى أخبار الدولتين (مصر سنة ١٢٨٧ هـ)

١٧ - دبل الروستق . (الطبعة الأولى سنة ١٩٤٧ م) .

عبد الرحيم بن على بن شنت ، التوفى سنة ٦٢٥ هـ :

١٨ - معالم الكتابة ومنافع الإصابة . (طبع بيروت سنة ١٩١٣ م) .

عيسى الدين عبد القادر بن محمد الميمى ، التوفى سنة ٩٢٧ هـ :

١٩ — تفتيه الطالب وإرشاد الدارس ، ديا سمشق من الخوامع والمدارس .
(مخطوط يأسكه التيمورية ، رقم ١٤٩٨ تاريخ) .

عبدالقادر بن محمد القزويني التميمي المصري ، التوفي - سنة ٨٧٧٥ هـ :

٢٠ — الجواهر النسيية في طبقات الجمعية (مخطوط يدار الكتب ، رقم ١٥٩ م تاريخ) .

علي بن رسم الحراساني : ابن الساعاتي ، التوفي سنة ٨٦٠٤ هـ :

٢١ — ديوان ابن الساعاتي . (طبع بيروت سنة ١٩٣٩ م) .

علي بن محمد بن الأثير ، التوفي سنة ٨٦٣٠ هـ :

٢٢ — الكامل في التاريخ . (الطبعة الأولى سنة ١٣٠١ هـ) .

عمر بن الوردى ، التوفي سنة ٨٧٤٩ هـ :

٢٣ — تاريخ ابن الوردى ، المطبعة الرشيدية سنة ١٢٨٥ هـ) .

عيسى بن أبي بكر بن أبوب : الملك الناصر ، التوفي سنة ٨٦٢٤ هـ :

٢٤ — السهم المصيب في كيد الأطباء (مطبعة السعادة سنة ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م) .

الفتح بن علي المنداري :

٢٥ — الشاهنامة - شرحها الدكتور عبد الوهاب عزام (مطبعة دار الكتب سنة ١٣٥٠ هـ - ١٩٣٢ م) .

قاسم بن قطلوبغا ، التوفي سنة ٨٧٩ هـ :

٢٦ — نوح الزراعي في طبقات الجمعية . (طبع ليبك سنة ١٢٨٨ هـ - ١٨٦٢ م) .

محمد بن أحمد المعروف بابن ياس المصري ، التوفي سنة ٨٦٣٠ هـ :

٢٧ — بدائع الزهور في وقائع الدهور . (طبع بولاق سنة ١٣١١ هـ) .

محمد أمين بن حبيب ، من علماء القرن الثالث عشر :

(م - ٧)

- ٢٨ — طائقات الفقهاء والعباد والزهاد (مخطوط بدار الكتب، رقم ١٦٦ تاريخ).
 خمس الدين محمد المعروف بالنهبي، المتوفى سنة ٥٧٤٨ هـ :
- ٢٩ — تاريخ الإسلام . (مخطوط بدار الكتب، رقم ١٤٥٢ تاريخ).
 محمد بن سالم بن واصل، المتوفى سنة ٦٩٧ هـ :
- ٣٠ — معراج الكروب في دوله سي أبوب . (مصور بدار الكتب، رقم ٥٣١٩ تاريخ).
 محمد بن شاكر بن أحمد السكتي، المتوفى سنة ٥٧٦٤ هـ :
- ٣١ — فوات أوهيات . (مطبعة بولاق سنة ١٢٩٩ هـ).
 محمد عبدالحى السكوى الحمدي
- ٣٢ — انوار الهدى في راحم الحبيب . (مطبعة السمادة ١٣٢٤ هـ).
 محمد بن عبد الرحمن الدمشقي :
- ٣٣ — ديوان الإسلام (مخطوط بدار الكتب، رقم ٢٢٠٨ تاريخ).
 محمد الطايب بن عبد الله (من علماء النصف الأول من القرن العاشر الهجري).
- ٣٤ — ملادة النجوى وفيات أعيان الدهر (مخطوط بدار الكتب، رقم ٤٤١٠ تاريخ).
 محمد فريد أبو حديد :
- ٣٥ — صلاح الدين الأيوبي وعصره (مطبعة دار الكتب سنة ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٧ م).
 محمد كرد علي :
- ٣٦ — حنظل الشام (طبع دمشق سنة ١٣٤٦ هـ).
 محمد بن نصر بن عتيق، المتوفى سنة ٦٣٠ هـ :
- ٣٧ — ديوان ابن عتيق (مطبعة دمشق سنة ١٩٤٦ م).

محمود بن سليمان الشهير بالكفوى الحنفى :

٣٨ - كتائب أعلام الأخيار من فقهاء مذهب اليماني المختار .

(مخطوط بدار الكتب رقم ٨٤ م تاريخ) .

مصطفى بن عبد الله الشهير بمجاهي خليفة ، التوفى سنة ١٠٦٧ هـ - ١٦٥٧ م

٣٩ - كشف الظنون عن اسمى الكتب واعنون . (طبع الآستانة سنة ١٩٤١ م) .

ياقوت الروي ، التوفى سنة ٦٢٦ هـ :

٤٠ - معجم البلدان . (مطبعة السعادة سنة ١٣٢٣ هـ) .

يوسف بن تميم ردي الأناكي :

٤١ - المعجم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة . (مطبعة دار الكتب سنة

١٣٥٣ هـ - ١٩٣٥ م) .

يوسف بن فزارة علي : سقط ابن الجوري ، التوفى سنة ٦٥٤ هـ :

٤٢ - مرآة الزمان (مخطوط بدار الكتب ، رقم ٢١٨١ تاريخ) .

Encyclopédie de L'islam,

Livraison 47. P. 663.

Paris 1913.

— ٤٣ —

الفهرس

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٣	مقدمة .	٤٧	أخلاقه .
٥	الأسرة الأيوبية .	٥١	أدبه
٧	مولده وشأنه .	٦٠	الشعر بمدحه
١١	أسانده وخطاته .	٦٨	صلته بابن عيين .
١٦	حكيمه .	٨١	وفاته
٢١	تشجيعه للعلم	٨٦	من أحوال مؤرخيه .
٢٧	مدارسه	٩٠	ذريته
٣٠	حياته السياسية .	٩٥	مراجع البحث .
٣٧	علاقته بالفرج		

للمؤلف

(أ) تأليف :

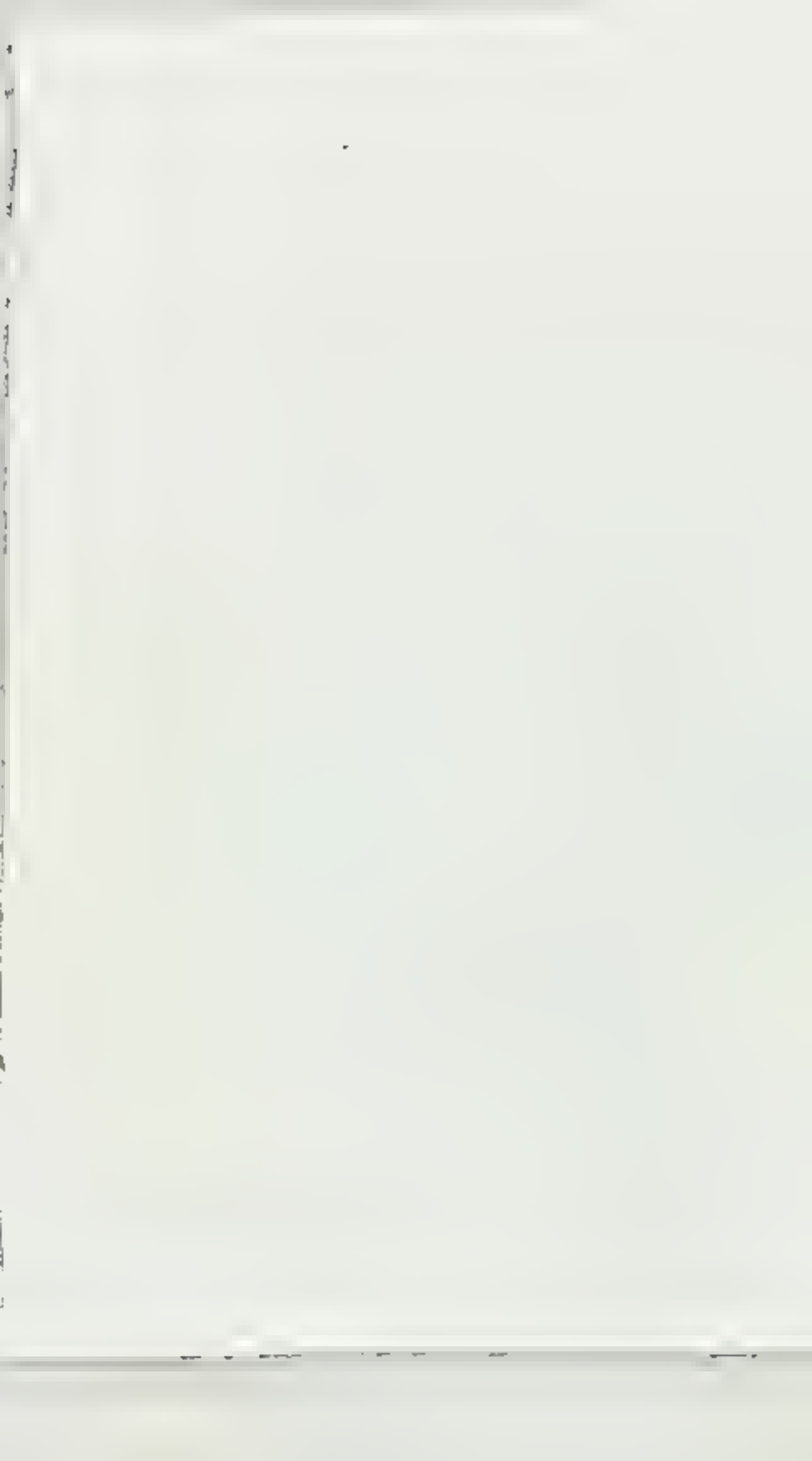
- ١ - شاعري بن حمدان . (الطبعة الثانية - مطبعة لجنة البيان العربي سنة ١٩٥٢ م).
- ٢ - رفاعه الطهطاوى . (مطبعة لجنة البيان العربي سنة ١٩٥٠ م).
- ٣ - من بلاغة القرآن . (مطبعة لجنة البيان العربي سنة ١٩٥٠ م).
- ٤ - مأمون بن أبوب . (مطبعة لجنة البيان العربي سنة ١٩٥٣ م).
- ٥ - الحياة العقلية ، في عصر الحروب الصليبية ، بمصر والشام . (مطبعة نهضة مصر سنة ١٩٥٢ م).
- ٦ - الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية ، بمصر والشام « تحت الطبع » .
- ٧ - عصر الحروب لصليبية ، بمصر والشام . (تناول الحياة السياسية ، والاجتماعية ، والحربية) ، « تحت الطبع » .

(ب) تحقيق :

- ١ - ديوان ائتمد بن عماد (بالاشتراك) - المطبعة الأميرية سنة ١٩٥١ م .
- ٢ - ديوان أسامة بن مقعد . (بالاشتراك) - المطبعة الأميرية سنة ١٩٥٣ م .
- ٣ - المطرب من أشعار أهل المغرب (بالاشتراك) - المطبعة الأميرية سنة ١٩٥٣ م .
- ٤ - ديوان القاسمى العاقل . « تحت الطبع » .
- ٥ - الدر المنظم ، من ترسل عبدالرحيم « تحت الطبع » .
- ٦ - شعر طلائع بن دريك « تحت الطبع » .
- ٧ - المديح في نقد الشعر ، لأسامة بن مقعد . (بالاشتراك) « تحت الطبع » .

(ج) ترجمة :

- ديوان التنى في العالم العربي ، وعند المستشرقين .
 (القسم الثانى من كتاب التنى ، للمستشرق : الدكتور بلاشير) .
 (مطبعة نهضة مصر سنة ١٩٢٥) .



[تم طبع كتاب « مأمون بن أيوب »
في مطبعة لجنة البيان العربي بالقاهرة في يوم
الانتهاء ٢ من رجب ١٣٧٢ الموافق (١٧ من
مارس ١٩٥٣) والحمد لله أولاً وآخراً]

رئيسة مكتبة
الديور التي للطبعة



*Restored through
a grant from*

The Cartwright Foundation





32101 074446210